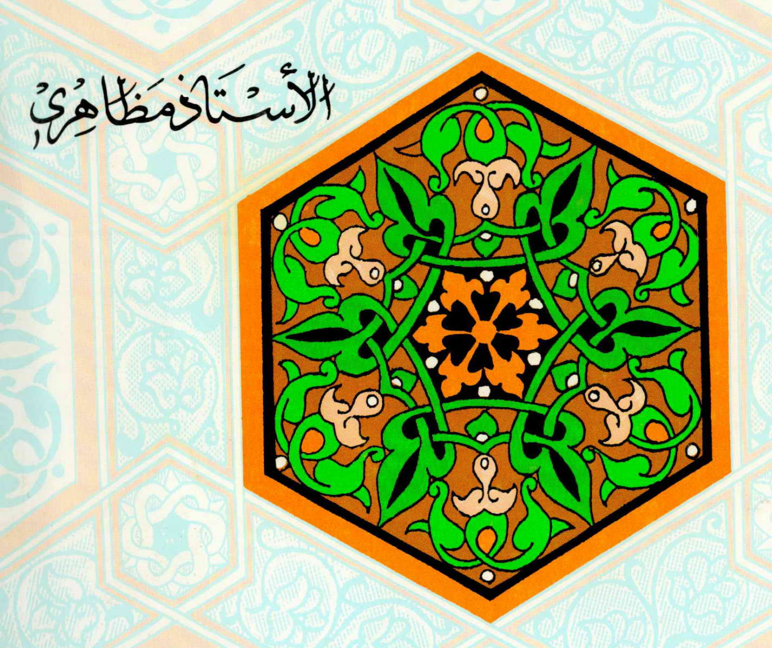
تذكار المؤمنين

أو

أخلاق القيادة في الإسلام

الأستاذ مطهري



دار المحجة البيضاء

دار ومكتبة الرسول الأكرم (ص)


تذكار المؤمنين
أو
أخلاق القيادة في الإسلام

تذكار المؤمنين

أو

أخلاق القيادة في الإسلام

الأستاذ مظاهري

ترجمة وتحقيق

لجنة الهدى



دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤١٣ ـ ١٩٩٢



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ص. ب: ١٤/٥٤٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاء سيدي، وجعلني من كل سوء فداه، ولا أراني فيه مكروهاً، فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

أعلم سيدي ومولاي أني بليت بولاية الأهواز.

فإن رأىٰ سيدي ومولاي أن يحد لي حداً، ويمثل لي مثالاً أستدل به علىٰ ما يقربني إلىٰ الله ـ عز وجل ـ وإلىٰ رسوله، ويلخص لي في كتابه ما يرىٰ لي العمل به، وفيم أبذله، وأين أضعُ زكاتي؟

وفيمن أصرفها؟

وبمن آنس؟ وإلىٰ من أستريح؟

وبمن أثق وآمن وألجأ إليه في سري؟

فعسىٰ أن يخلصني الله بهدايتك وولايتك.

فإنَّك حجَّة الله في خلقه، وأمينه في بلاده.

لا زالت نعمته عليك.

الـمُختَبـر

الدار الفانية محل بلاء يصقل فيه الإنسان جوهر روحه، ويميز ذهبه من نحاسه بالخوف والفقر مرة، وبالأمن والغنىٰ مرة.

وقد قيل: إن السالك إلىٰ ربه يستعذب البلاء، ويستمرئ الصبر، لعلمه بأن الفوز لا يُنالُ بالهناء، وأن الملك متفضل أعطىٰ أو أمسك.

ومن الامتحان الحكم الذي يثير ألف ألفٍ من مضلات الفتن.

وحسب الدنيا أنها استنزلت الرفيع، واستصعدت الوضيع ببالغ مكرها وفاجر غدرها.

وسنعرض هنا رسالة بعث بها الإمام الصادق عليه السلام ـ إلىٰ النجاشي أحد محبيه جواباً عن سؤال سأله إياه عند توليته الأهواز طالباً منه منهجاً في إدارة شئونها، فقال:

«أعلم سيدي ومولاي أني بُلِيتُ بولاية الأهواز.

فإن رأىٰ سيدي ومولاي أن يحد لي حداً، ويمثل لي مثالاً أستدل به علىٰ ما يقربني إلىٰ الله ـ عز وجل ـ وإلىٰ رسوله، ويلخص لي في كتابه ما يرىٰ».

وفي هذا القول نقاط مهمة جداً، هي:

١ ـ إن النجاشي رأىٰ الولاية بلاءً له علىٰ وفق الآية المباركة: **﴿أَحَسِبَ الناسُ أنْ يقولُوا آمَنَّا وهم لا يُفْتَنُون. ولَقد فتنَّا الذِينَ مِن قبْلِهم فليعلمنّ الله الذين صَدَقُوا وليعلمنّ الكاذِبين﴾**[1].

---

(١) البقرة: ٢/ ١٥٥.

وما يبتلي الله العباد لمعرفة حقائقهم، فهو محيط بها مطلّعٌ عليها، ولكنه يبتليهم ليميز الصادق من الكاذب، وليعتبر بعضهم ببعضٍ عند تجلي الحقائق.

وسبحان القائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بشَيءٍ مِن الخوفِ والجُوعِ ونَقْصٍ مِنَ الأَموالِ والأَنْفُسِ والثَّمَرَاتِ وبَشِّرِ الصابِرِين﴾[1].

فالبأساء والضَّرّاءُ وقلة العدد وسيادة الخوف نار تستخلص بها معادن النفوس، فيتبين أحسنها من أردئها، وأصفاها من أكدرها.

وعلىٰ الرغم من تحول الإنسان من حالٍ إلىٰ حالٍ وانتقاله منَ العدم إلىٰ الوجود، ومنَ الضعف إلىٰ القوة، ومن الجهل إلىٰ العلم محفوفاً بلطف الله ورحمته، فإن أكرم حياته ما كان لله مستضيئاً بنوره مشتاقاً إلىٰ قربه.

ولله درُّ القائل: أحب الموت لأرفرف بين الملائكة في عالم الطهر الذي لا يسمو إليه الخيال.

بيد أن الشوق إلىٰ الطهر لا يكفي من غير سعي دائبٍ إليه لا يفتر وعيه في امتثال قوله ـ تعالىٰ: ﴿يا أَيُّها الإنسانُ إنَّكَ كادِحٌ إلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[2].

وهذا الكدح إلىٰ الله ـ سبحانه ـ لا يثمر المشتهىٰ من خير الطيبات من غير استمرارٍ فيه وصبرٍ عليه صبراً جميلاً يهذب النفس من مطامح التراب الدانية تهذيباً ينسىٰ كلَّ شيءٍ سوىٰ الرب الرحيم الذي يتوق إلى لقائه.

وقد كان أستاذنا إمام الثورة الفذ يقول: يجب أن تضرم النار في كبدك عشرين سنةً موصولةً لتزيل رذيلةً من طبعك وتستميل إليه فضيلة.

والمسير في مدارج الكمال صعب مستصعب لا يسيره الخلي المنعم بالفضلة، فحب الله لا ينزل القلوب المظلمة ولا يستأنس بالهمم الخاملة، ولا يسنح لعباد الأوهام الذين يشملهم قول ربك ـ تعالىٰ ـ: ﴿فأَمَّا الإنسانُ إذا ما

---

(١) البقرة: ٢/ ١٥٥.

(٢) الانشقاق: /٦.

ابتَلاهُ ربُّهُ فأَكرمَهُ فيقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وأَمَّا إذا ما ابتَلاه فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فيقولُ رَبِّي أهانَنِ﴾[1].

أي أن أحباء الله وأودّاءَهُ لا يبتغون بحبه ثمناً قليلاً، ولا يشترطون عليه شرطاً، وإنما يشكرون له أن أنعم عليهم بمعرفته وهداهم إليه، ويستعذبون المشقة في سبيله، لأنها تطهرهم وتزكيهم للقاء كريمٍ لا يفوز به إلاّ المطهرون.

وأعظم الشكر الرضا بقضاء الله والتسليم إليه علىٰ كل حالٍ واستعمال نعمه في طاعته واجتناب معصيته والإحسان إلىٰ عباده استمالةً لهم إلىٰ سبيله وترغيباً لهم في رحمته وصادق وعده.

وهنيئاً لمن مَنَّ الله عليه بمكانةٍ من جاهٍ أو مالٍ، فتذرع بها إلى استنزال رحمته واستحصال عفوه الذي لا يناله مغتر ولا يشمه مستكبر.

فالمكانة إذا اتُّخذت وسيلة استعلاء علىٰ الناس أدت بصاحبها إلىٰ خسران الدنيا والآخرة.

---

(١) الفجر: ٨٩/ ١٥ ـ ١٦.

اللُّطْفُ الإلهيّ

حياة الناس مرتبطة بلطف الله تستند إليه وتقتبس منه وتستظل به، وهو قسمان:

١ ـ **الألطاف الجلية**: وهي الواضحة لعامة الناس كالعلم والمال والمقام.

٢ ـ **الألطاف الخلية**: وهي التي لا تتضح لعامهم كالفقر وعدم الأمن.

فالنفوس متباينة في استجابتها لربها ـ تعالىٰ ـ والركون إليه والتوكل عليه.

وهو ـ سبحانه ـ يعاملها بما تصلح به وتستقيم عليه من الشدة والرخاء.

فمنهم من تجتذبه النعمة إلىٰ رحاب ربه، فيشكر له ويطيعه وحده معرضاً عن عبادة غيره، فينجو من هوان اليوم وعذاب الغد.

ومنهم من يلتجئ إلىٰ الله عند نزول الملمات من خوفٍ وجوعٍ ضارعاً خاشعاً خشوع الواثق بمولاه المنصرف إليه دون سواه كأن البلاء جناح شوقٍ يطير به إلىٰ آفاق العظمة الربانية التي تنشر ظلالها الوارفة الرحيمة علىٰ الوافدين عليها بقلبٍ سليمٍ.

فالشدائد وسائل تزكيةٍ تذكر الغافل بربه الرحيم وتعيده إليه لاجئاً من سوء الغفلة وظلمات الوهم..

وقد غنم الإمام الخميني من هذه الألطاف الخفية أيَّما غنيمة، فسما في مدارج التقىٰ والتسليم سمواً ندر بلوغه في الآخرين، فلم يزد ساعة سمع

بشهادة نجله العالم الحكيم السيد مصطفىٰ أن قال: «إنا لله وإنّا إليه راجعون، هذا أحد ألطاف الله الخفية».

ولا يغيبنَّ عن البال أن أنبياء الله ورسله الكرام ـ عليهم السلام ـ عاشوا الفاقة والحرمان راضين بكرامة الله لهم، ولا سيما خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وآله ـ إذ ورد بشأنه القرآن المجيد: **﴿ألم يَجِدْكَ يتيماً فآوىٰ ووَجَدَكَ ضالاًّ فَهَدَىٰ ووجَدَكَ عائلاً فأغنىٰ﴾**[1].

---

(١) الضحىٰ: ٩٣/ ٦ ـ ٨.

الامتحان الإلاهيّ

المسؤولية وسيلة لبناء النفس والتقرب إلىٰ مدار العظمة الربانية مثلما هي امتحان لصدق العقيدة يؤدي النجاح فيه إلىٰ السمو والكرامة.

وتستمد بركة ثوابهـا من خدمـة الإسلام والمسلمين التي هي من أعـظم النعم إذا كانت لله وبالله لا شريك له.

وجاء عن الإمام الصادق ـ عليه السـلام ـ أن رجلاً قـال له: إنني أرىٰ الفقر أفضل من الغنىٰ والمرض أفضل من العافيـة، والبلاء أفضل من

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: نحن أهل البيت لسنا هكذا.

قالل الرجل: فكيف أنتم يا ولي الله؟

قال الإمام ـ عليه السلام ـ: نحن نريد ما أراد الله.

وما أراده الله ـ سبحانه ـ هو الصَّـدْعُ بدينه القويم في الناس قولاً وفعلاً طلباً لمرضاته وفراراً من سخطه.

وما من نعمةٍ ولا بلاءٍ إلاّ وسيلة لتربية النفس والارتقاء بها من ضعة الباطل إلىٰ رفعة الحق.

فاسعوا أيها المؤمنون الواعون أن تجعلـوا ما آتاكم الله من ثـروةٍ ومكانـةٍ وسيلةً للخروج من ظلمات المعصية إلىٰ نور الطاعة.

ولا تَزِلنَّ بكم النعماء أو البأساء من ذروة التمسك بالرب العزيز الحكيم إلىٰ هوة البعد عنه.

ولا تؤتي المكانة أو القيادة أُكُلَها إلَّا إذا قرنتموها بخفض أجنحتكم للناس من الرحمة بهم والعطف عليهم والإحسان إليهم من غير منٍّ ولا أذىً.

وهذا لا يتيسر لكم إلا إذا أحببتم لهم ما تحبون لأنفسكم.

وما تبلغون هذا الحب حتىٰ تخرجوا حب الدنيا من أعماق قلوبكم، وتنيروها بحب الله ـ تعالىٰ ـ الذي لا يتأتىٰ إلا باستدامة اليقظة والفرار من الشبهة والإقبال علىٰ الخير ومؤاخاة الصالحين والتنافس في قضاء الحاجات لله وبالله.

وإياكم والفراغ، فإنه مفسدة للدين والدنيا.

وعليكم بالصبر والصلاة، فإنهما الدليل إلىٰ معرفة الله الغالية ومحبته المنقذة فبهما تألف الجوارح حضوره الدائم، فتستحي منه وتخشاه حتىٰ تتجافىٰ عن مقارفة النية الخاطئة فضلاً عن الفعل.

وبذلك تنال درجة القرب، وتصبح جديراً بالعبودية لله التي تعني السيادة المطلقة علىٰ كل شيءٍ والانعتاق من كل شيء.

وذاك أقصىٰ ما يتوق إليه الصالحون، فهو كرامة في الدنيا، وسعادة في الآخرة، ورضوان من الله أكبر.

الحُكْمُ في الإسلام

سبق قولُ النجاشي ـ رحمه الله ـ للصادق ـ عليه السلام ـ: «بليت بولاية الأهواز»، وسبق قولنا: إنه كان يرىٰ الحكم تكليفاً لا تشريفاً، ولهذا جاء قول الإمام ـ عليه السلام ـ: **«ذكرت أنك بليت بولاية الأهواز، فسرني ذلك وساءني.**

وسأخبرك بما ساءني من ذلك وما سرني إن شاء الله ـ تعالىٰ.

أما سروري بولايتك، فقلت: عسىٰ أن يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من أولياءِ آل محمّد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ ويعزَّ بك ذليلهم، ويكسو بك عاريهم، ويقوي بك ضعيفهُم، ويطفئ بك نارَ المخالفين عنهم.

وأما الذي ساءني من ذلك، فإن أدنىٰ ما أخاف عليك أن تَعْثَرَ بوليٍّ لنا فلا تشم رائحة حظيرة القدس».

ولا يحتاج جواب الإمام ـ عليه السلام ـ إلىٰ أنه بيان مبين عن فداحة النهوض بالحكم وما يؤدي إليه من ربحٍ وخسرانٍ.

فما أجدر من ابتلاه الله به بالإقبال علىٰ أدائه بروحه وراحته ضارعاً إلىٰ الله ـ تعالى ـ أن يخرجه من دائرة الاختبار سالماً من الإثم غانماً من البر!

وبُعداً لمن حملته نفسه علىٰ طلب الحكم من غير جدارةٍ به، أو رضي به، وهو يعلم أن في كنفه من هو أكفأ منه.

خشية الله

في بحار الأنوار أنه جاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أن من زهد يحيىٰ بن زكريا ـ عليهما السلام ـ أنه أتىٰ بيت المقدس، فرأىٰ المجتهدين من الأحبار والرهبان ـ عليهم مدارع الشَّعَر وبرانس الصوف.

وإذا هم قد خرقوا تراقيهم، وسلكوا فيها السلاسل وشدوها إلىٰ سواري المسجد، فلما نظر إلىٰ ذلك أتىٰ أمه، فقال: يا أماه إنسجي لي مدرعة من شعرٍ وبرنساً من صوفٍ، حتىٰ آتيَ بيت المقدس، فأعبد الله مع الأحبار والرهبان.

فقالت له أمه: حتىٰ يأتي نبي الله وأؤامره في ذلك.
فلما دخل زكريا ـ عليه السلام ـ أخبرته بمقالة يحيىٰ.
فقال له زكريا: يا بني ما يدعوك إلىٰ هذا وإنما أنت صبي صغير؟
فقال له: يا أبه أما رأيت من هو أصغر سناً مني قد ذاق الموت؟
قال: بلىٰ.
ثم قال لأمه: إنسجي له مدرعةً من شعرٍ وبرنساً من صوف.
ففعلت.

فتدرع المدرعة علىٰ بدنه، ووضع البرنس علىٰ رأسه، ثم أتىٰ إلىٰ بيت المقدس، فأقبل يعبد الله ـ عز وجل ـ مع الأحبار، حتىٰ أكلت المدرعة من الشَّعَرِ لحمه.
فنظر ذا يوم إلىٰ ما قد نحل من جسمه، فبكىٰ.
فأوحىٰ الله ـ عز وجل ـ إليه: يا يحيىٰ أتبكي مما قد نحل من جسمك؟

وعزتي وجلالي لو اطلعت علىٰ النار اطلاعةً، لتدرعت مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج.

فبكىٰ حتىٰ أكلت الدموع لحم خديه، وبدا للناظرين أضراسه.

فبلغ ذلك أمه، فدخلت عليه وأقبل زكريا ـ عليه السلام ـ واجتمع الأحبار والرهبان، فأخبروه بذهاب لحم خديه، فقال: ما شعرت بذلك.

فقال زكريا ـ عليه السلام ـ: يا بني ما يدعوك إلىٰ هذا؟

إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقرَّ بك عيني.

قال: أنت أمرتني بذلك يا أبه.

قال: ومتىٰ ذلك يا بني؟

قال: ألست القائل: إن بين الجنة والنار لعقبةً لا يجوزها إلا البكاءون من خشية الله؟

قال بلىٰ.

فجُدَّ واجتهد. وشأنك غير شأني[1].

هذا هو شأن من عرف الله ـ تعالىٰ ـ وأعد واستعد لذلك اليوم العظيم الذي جاء من وصفه في القرآن الكريم قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إنَّ زَلْزَلَةَ الساعةِ شيءٌ عظيمٌ يومَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعةٍ عمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وترىٰ الناسَ سُكارىٰ وما هم بِسُكارىٰ ولكِنَّ عذابَ الله شديد﴾[2].

---

(١) البحار: ١٤/ ١٦٥.

(٢) الحجّ: ٢٢/ ٢.

عبودِية الصالحِين

من دلائل التسليم إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ الاستضاءة بكتابه المبين وهدي أوليائه الصالحين علىٰ نحو ما فعل النجاشي إذ كتب إلى الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ عند توليته الأهواز «**فإنْ رَأىٰ سيِّدي ومَولايَ أنْ يَحُدَّ لي حدّاً**».

فهو لم يعتمد علىٰ معارفه الخاصة وملكيته النافذة، وإنما رجع بالأمر إلىٰ أهله سائلاً عن حده غير مغترٍّ بما آتاه الله منه ليقينه أن دين الله لا يصاب بالعقول والميول، وإنما بالرجوع إلىٰ أعلام الهدىٰ والعروة الوثقىٰ طلباً للنجاة من الزلل واستقامةً علىٰ الحق.

وهذا هو معنىٰ العبودية لله ـ سبحانه ـ التي تعني التفويض إليه ـ تعالىٰ ـ في الأمور كلها والتوكل عليه في حل ما استغلق منها خضوعاً لإرادته الحكيمة وثقةً بقدرته العظيمة مثلما كان المرحوم محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيلسوف الكبير المعروف بصدر المتألهين يفعل عندما تستعصي عليه المقاصد.

فقد كان يتوجه إلىٰ حرم السيدة معصومة ـ عليها السلام ـ يلوذ به ويتوسل إلىٰ الله في ظله مستشفعاً إلىٰ لطفه بفضل هذه السيدة الصالحة أن يعينه علىٰ إدراك ما شرد عنه من عويصات المطالب غير ملتفتٍ إلىٰ أنه مؤلف الأسفار الأربعة الذي يضم فرائد المسائل الفلسفية الدقيقة.

هكذا تمحو العبودية لله كل لونٍ من الاستعلاء والغرور تثيره الغفلة في نفس الإنسان.

وذكر العلامة الشهيد السيد مصطفىٰ الخميني ـ رحمه الله ـ أن والده الإمام العابد اعتاد زيارة حرم أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ عند التاسعة ليلاً، وما انقطع عنها ليلةً طوال سنواتٍ، فإذا بلغ الحضرة المطهرة أكب يقبل الباب والجدار خاشعاً كعامة الناس، ويحتضن المرقد الشريف، ثم يقرأ الزيارة الجامعة.

وإذ استعد الإمام للخروج إلىٰ الزيارة ليلةً اضطرب الجو وعصفت الريح وصعب الخروج قلت له: إن الإمام ـ عليه السلام ـ مع زائره أينما كان والجو علىٰ ما ترىٰ.

فاقرأ الزيارة الجامعة الليلة هنا، ولا تمضي إلىٰ الحرم المطهر.

فقال لي مبتسماً: لا تسلبنا طيبة العوام وصفاءهم يا مصطفىٰ.

أعلم أن الإمام ـ عليه السلام ـ لا يبعد عن محبيه، ولهذا مباحث علمية صحيحة خاصة به، ولكن العبودية تحملنا علىٰ التشرف بزيارة أضرحة الأئمة وأبنائهم ـ عليهم السلام جميعاً ـ والاستظلال بها ابتغاء الفوز برحمة الله وعفوه الكريم.

فالقلب الذي يخلو من ظلمات الدنيا ووساوس الشيطان الرجيم يندكُّ في حب الله ـ تعالىٰ ـ ويستعذب كلَّ ما استمرَّه الناس في سبيله، ويستأنس بكل ما استوحشوا منه كأنه لا يشعر بشيءٍ غير حبه ـ تعالىٰ.

الإخلاصُ لله

للتعبد مراتب ذات علاقةٍ بالإخلاص والوعي والقرب من الله ـ تعالىٰ .

فكلما أخلص المرء في عبادته عن وعي، اقترب من ربه ـ سبحانه ـ وذاب في طاعته كما فعل النبيان الكريمان إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ: ﴿قالَ يا بُنَيَّ إنِّي أرَىٰ في المنامِ أنِّي أذْبَحُكَ فانظُرْ ماذا تَرَىٰ قالَ يا أبتِ افعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ الله مِنَ الصابِرِين. فلمَّا أسلما وَتلَّهُ للجبينِ. ونادَيْناهُ أنْ يا إبراهيمُ. قد صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إنَّا كذلِكَ نَجْزِي المُحْسنين. إنَّ هذا لهو البلاءُ المُبِينُ. وفَدَيناهُ بِذِبْحٍ عظيمٍ. وتَرَكْنَا عليهِ في الآخِرين. سلامٌ علىٰ إبراهيمَ. كذلِكَ نَجزي المُحسِنين. إنَّه مِن عِبادِنا المُؤْمِنين﴾[1].

فقد استقبل الأب وابنه ما ابتلاهما الحبيب به مسلمين راضِيَيْنِ، وشرعا في تنفيذه من غير سؤالٍ عن علته أو استئجالٍ له.

وإذ تجلىٰ إخلاصهما له ـ سبحانه ـ شهد لهما بالصدق والإحسان، ورفع عنهما ما ابتلاهما به من عظيم البلاء الذي تعجز عنه نفوس غير الأولياء وأكرمهما بحسن الذكر والدعاء لهما أبد الآبدين.

فقد كانا مؤمنين صادقين صابرين محسنين نالا بإخلاصهما أعلىٰ مراتب القرب من الغفور الرحيم.

فسلم القرب من حظيرة القدس هو إخلاص العبادة وعدم الاغترار بها.

---

(١) الصافّات: ٣٧/ ١٠٢ ـ ١١١.

ولا يتحقق الإخلاص في العبادة، إلا بتحكيم الإسلام في أمورهم كلها ما خفي منها وما ظهر ﴿فلا وربِّكَ لا يُؤمِنُونَ حتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

وليس تحكيم الإسلام في الأمور كلها وحده بكافٍ لنيل القرب من الله - تعالىٰ - بل لا بد من الرضا المطلق بما يحكم.

ولا تسلم نفس بحكم الله - تعالىٰ - إلّا بمقدار صدقها في عبادته.

ومن الشواهد التاريخية علىٰ هـذا أن سهل بن الحسن الخراساني ورد علىٰ الإمام الصادق - عليه السلام - يستنهضه ويخبره أن له مئة ألف مقاتلٍ في خراسان.

فأمر أن يسجر التنور، فلما حمي قال لسهل: انزل فيه.

فارتجف رعباً، واستعظم ما دعي إليه، واستعفىٰ الإمام منه، فأعفاه منه.

فدخل هارون المكي أحد أصحاب الإمام - عليه السلام - المقربين حاملاً نعليه بيده وسلم علىٰ الإمام، فرد عليه التحية، وقال له: اطرح نعليك واقعد في التنور المسجور.

ففعل من دون ترددٍ ولا سؤالٍ.

وأخذ الإمام - عليه السلام - يحدث سهلاً عن خراسان كأنه فيها، وكأنه لم يأمر أحداً بشيءٍ خطير، ثم قال له: اذهب وانظر في التنور.

فرأى هارون المكي متربعاً فيه مطمئناً، فذهل مما رأى.

ونادىٰ الإمام - عليه السلام - أن يا هارون اخرج.

فجاء سالماً معافى.

فسأل الإمام سهلاً: كم رجلاً مثل هذا في خراسان؟

فأقسم أنه ليس فيها أحد هكذا.

من هنا يتبين أثر الإخلاص في العبادة، فبه يبلغ العابد ما لا يمر بخاطرٍ من علو الدرجات الكريمة.

---

(١) النساء: ٤/ ٦٥.

سَبيلُ النجاةِ

يجب أن يكون المؤمنون الواعون لعقيدة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أمثلةً حيةً لهذه العقيدة المباركة.

وذلك بأن يعرفوا أئمتهم المعصومين ـ عليهم السلام ـ ويتأسوا بأفعالهم وأقوالهم ويملؤا نفوسهم من ضياء سيرتهم العطرة التي امتازت بالخضوع التام لرب العالمين في كل أمرٍ ونهيٍ، والتضرع إليه أن ينير بصائرهم ويرفعهم إليه بإعانته لهم علىٰ طاعته علىٰ الرغم مما هم عليه من الطهر والإخلاص.

فقد كان أئمتنا ـ عليهم السلام ـ لا يرون شيئاً في هذه الحياة سوىٰ رب الآخرة والأولىٰ ـ جل وعلا ـ ولا يبتهجون إلا بعبادتهم له والسهر علىٰ إظهار دينه وإعلاء كلمته علىٰ كل حال.

وهكذا كان شأن المخلصين من أصحابهم وأتباعهم الذين استولىٰ حب الله علىٰ قلوبهم الصافية، فسموا إلىٰ إعلىٰ درجات المقربين بمعراج البعد عن الكافرين والظالمين والفاسقين الذين لم يحكموا بما أنزل الله ـ تعالىٰ.

فليحذر الصالحون من حكم الجاهلية المنبعث من هوىٰ النفس الذي يهدي إلىٰ مهاوي الكفر والظلم والفسق ودياجي الخسران والهوان والعذاب.

وتلك سنة الخالق العزيز الحكيم المنصوص عليها في كتابه المجيد: ﴿وَضُرِبت عليهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنةُ وباؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ الله ذلِكَ بأنَّهُم كانُوا

يكْفُرونَ بآياتِ الله ويَقْتُلُونَ النّبيِّينَ بغيرِ الحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوا وكانُوا يعْتَدُون﴾[1].

وللشريعة حدود من تعدَّاها كان من قتلة الأنبياء العصاة المعتدين المشمولين بغضب الله ـ تعالىٰ ـ المضروب عليهم الذلُّ والمسكنة.

فقد ورد عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أن قتل الأنبياء في هذه الآية هو الإعراض عمَّا جاؤا به وتضييعه.

وهذا التفسير يدُلنا علىٰ فداحة الجرم وبشاعة التقصير في نشر الإسلام وإقامة أحكامه في الأرض.

---

(١) البقرة: ٢/ ٦١.

الحُكْمُ عِبادَة

لقد فهمنا من رسالة النجاشي إلىٰ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وجوابه عنها أن الوظيفة في الدولة اختبار لإيمان المكلف بها.

فإذا نهض بها علىٰ وفق الضوابط الشرعية وخدم الناس بها ولم يستعل عليهم، نجح في الاختبار وفاز برضا الله ـ سبحانه ـ الذي هو غاية المسلم من الحكم لا الجاه والتسلط على الناس.

وهذا ما صرح به النجاشي ـ رحمه الله ـ في رسالته الواعية إلىٰ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ إذ قال: «ويُمَثِّلَ لي مِثالاً أسْتَدِلُّ بهِ عَلَىٰ ما يُقَرِّبُنِي إلىٰ الله ـ عز وجلَّ ـ وإلىٰ رسولِه».

فالحكم في الإسلام وسيلة لا غاية.

والحاكم المسلم يتوخىٰ من منصبه القربة إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ـ صلى الله عليه وآله ـ فيخدم الناس رغبة في رحمة الله وعفوه لا حباً للشهرة وطلباً للسيادة.

أي أن الحكم عبادة كسائر عبادات الإسلام الكثير، كثرة منافع الناس في حياتهم إنما هي لتربية النفس وتهذيبها من كثافة الجهل والغفلة تهذيباً يجعلها أهلاً للقرب من رحمة الله والفوز بكرامة الدنيا وسعادة الآخرة.

غاية الخلقِ والشرْع

كشف الرب الرحيم ـ جل وعلا ـ عن غاية الخلق بقوله الحكيم: **﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[1].

وجاء في الحديث القدسي: «**خَلَقْتُ الأشياءَ لأَجْلِكَ وخَلَقْتُكَ لأَجْلي**».

أي أن الله ـ سبحانه ـ خلق هذا الكون العظيم الفسيح المحكم الدقة المفعم بالعجائب من أجل عبده الكريم عليه بنص قوله ـ تعالىٰ ـ: **﴿ولَقَدْ كرَّمْنا بَنِي آدَمَ وحَمَلْناهُم في البَرِّ والبَحْرِ وفَضَّلْناهُم علىٰ كثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾**[2].

وخلق هذا العبد الكريم عليه ـ سبحانه ـ لعبادته التي هي معراج السمو واستكمال الفضائل التي تدنيه من ساحة الكمال المطلق الذي لا نجاة ولا سرور إلا بالتدرج إلىٰ رحابه العلية المفتحة الأبواب لكل قلبٍ سليمٍ.

وكشف ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عن غاية التشريع بقوله المبارك: **﴿هو الذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رسُولاً مِنهم يتلو عليهِم آياتِه ويُزَكِّيهِم ويَعَلِّمُهُم الكِتابَ والحِكْمَةَ وإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**[3].

---

(١) الذاريات: ٥١/ ٥٦.

(٢) الإسراء: ١٧/ ٧٠.

(٣) الجمعة: ٦٢/ ٢.

أي أن الشرع المبارك هو كالكون خلقه العزيز الحكيم من أجل عبده الكريم، فجاء محيطاً بمنافعه كلها متوفراً علىٰ سعادته وكرامته.

وهذا يدل أيضاً أن بعثة أربعةٍ وعشرين ألف نبي كانت تمهيداً لبعثة أشرف الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وآله ـ الذي جاء لإخراج الناس جميعاً من الظلمات إلىٰ النور بهدىٰ القرآن المجيد، وتطهيرهم من أنجاس الجاهلية، وتعليمهم الكتاب والحكمة اللذين يضيئان نفوسهم بحب الله ـ تعالىٰ ـ وحده، حتىٰ يكونوا مصداقاً لقوله ـ جل اسمه ـ: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عن ذِكْرِ الله وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تتقلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ والأَبْصَارُ﴾[1].

وهذه الآية المباركة عجيبة في البيان عن وجوب الجمع بين خير الدنيا والآخرة واجتناب شرهما.

فهي تنص على أن المسلم إنسان دائب السعي لإصلاح الحياة وابتغاء رزقه بكدحه في مرافقها كالتجارة والبيع من غير أن يلهيه شيء منها عن عباداته الواجبة.

فهو يقظ لا يغفل عن ذكر سيده الذي خلقه أحسن الخلق وأكرمه وفضله علىٰ كثير من خلقه، ولا تستأثر به الدنيا، فتصرفه عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، لأنه عبد دائم الخوف من يوم الفزع الأكبر الذي لا ريب فيه.

---

(١) النور: ٢٤/ ٣٧.

الجِهادُ الأكبرَ

حَظِيَ الجهاد الأصغر ـ وهو الذَّبُّ عن حرمات الدين والأمة ـ بعنايةٍ كبيرةٍ تدل على ضرورته الماسة في الإسلام، فبه تصان الأحكام، وتحفظ الأعراض، ويظهر الإسلام، ويسود المسلمون.

وهو يستمد قوته من الجهاد الأكبر الذي قُدِّمَ عليه.

فلئن كان الجهاد الأصغر حماية لبيوتنا، فإن الجهاد الأكبر حماية لقلوبنا، إذ نهجم علىٰ العدو الغازي لنفوسنا المستوطن في أحاسيسنا بسلاح التقوىٰ والتوبة النصوح، ونطهر بيت الرب الرحيم من جيوش الشياطين المدنسة له بالوساوس والأوهام، ليعود آمناً من حب الدنيا الهابطة، ويكون جديراً بحب الله ـ تعالىٰ ـ الذي ورد قوله المبارك في الحديث القدسي: «**لا تسعني أرضي ولا سَمائي، ويسعُني قلبُ عَبْديَ المؤمن**»(١).

فما أكرم قلباً يسع رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ويكون له عرشاً!

وما أهون قلباً أغلق أبوابه ونوافذه عن حب الله المنقذ، وفتحها لإبليس وجنوده من الجهل والغفلة والهوىٰ وطول الأمل والفاحشة والمنكر وسواها من الباطل.

فطوبى لمن سهروا الليل خاشعين وقطعوا النهار خاضعين يعدون أنفسهم لاستضافة النور الإلهي والحضور في حرم الحبيب المقدس حضوراً لا تُكدره التفاتةٌ إلىٰ ضجيج الشيطان.

الخُشُوعُ في الصَّلاةِ

لا صلاة بغير حفظ القلب حفظاً تاماً يصرفه عن كل خاطرٍ سواها.

ولا يتيسر هذا الحفظ، إلا بتطهير القلب تطهيراً مستمراً من غاصبيه ومستوطنيه الغرباء الذين ينشرون فيه الخراب والظلام، ويجعلونه هائجاً مائجاً لا يسكن إلىٰ رحاب الرحمان.

والسبيل إلىٰ هذا التطهير هو الإقبال علىٰ العبادة والتمسك بمكارم الإسلام قولاً وفعلاً والعيش في صفوف الصالحين والركون إليهم على كل حال، واجتناب غيرهم من مثيري مضلات الفتن، ومبلبلي البال بالأوهام المظلمة.

ومما ينير القلب ويملؤه سكينةً ويحفظه علىٰ صاحبه في الصلاة.

١ ـ أداء الفرائض في أوقاتها وتدبر أسرارها والاستضاءة بمعانيها الهادية.

٢ ـ السعي إلىٰ صلاة الجماعة، واستدامة صلاة الجمعة.

٣ ـ التزامُ النوافل وصلاة الليل.

٤ ـ استكثار قراءة القرآن وتدبره.

٥ ـ التَّفقُّهُ في العبادات والمعاملات.

٦ ـ غضُّ النظر عن المحارم والفرار من الفراغ والخلوة ما استطاع إلىٰ ذلك.

وحضور القلب في الصلاة دائماً من دواعي نزول رحمة الله وشمول لطفه.

مَنْجاةُ الحاكِمِ

ومما حَدَّهُ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ولخصه في جوابه للنجاشي ـ رحمه الله ـ هذا الحد العظيم إلا علىٰ الخاشعين، وهو قوله ـ عليه السلام ـ: «**واعلَمْ أنَّ خَلاصَكَ ونجاتَكَ في حَقْنِ الدِّماءِ وكَفِّ الأذىٰ عَنْ أولياءِ الله**».

فالإمام أوضح للمؤمن الذي يُبْتلَىٰ بالحكم في ظل المارقين عن الإسلام أنه يستطيع الخروج من هذا البلاء سالماً إذا حقن دماء المظلومين، وكف الأذىٰ عن المؤمنين.

وكلام الإمام ـ عليه السلام ـ هنا وعد ووعيد يعيهما من فتح الله بصيرته للإيمان.

وإنما حذر الإمام ـ سلام الله عليه ـ من إراقة الدماء ظلماً ومن إيذاء الصالحين من عباد الله، لأن الإنسان لا يستمد قيمته من حقيقته المادية، ولا مما يتعلق به من منصبٍ ومالٍ وثروةٍ ونحوها، وإنما يستمد قيمته من تكريم خالقه ـ سبحانه ـ له، حتىٰ إنه ـ جل وعلا ـ عدل قتل نسمةٍ بقتل الناس جميعاً وإحياءها بإحيائهم جميعاً، فقال في كتابه المبين: ﴿**ومَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغيرِ نَفْسٍ أو فسادٍ في الأرْضِ، فكأنَّما قَتَلَ الناسَ جَمِيعاً**﴾[1].

وإنما حظي الإنسان بهذه الكرامة الفائقة في الإسلام من جعل الله له خليفته في أرضه الطيبة فسبحان ربنا القائل في محكم كتابه المجيد: ﴿**وهو**

(١) المائدة: ٥/ ٣٢.

الذي جَعَلَكُمْ خَلائفَ الأرْضِ ورَفعَ بَعْضَكُمْ فوقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوكُم في ما آتاكُم إنَّ رَبَّكَ سريعُ العِقابِ وإنَّهُ لَغفُورٌ رَحيمٌ﴾[١].

فكرامة الإنسان منبعثة من كونه خليفة ربه ـ تعالىٰ ـ في أرضه، والعدوان عليه عدوان علىٰ الله سبحانه ـ ورفض لاختياره ـ جل اسمه ـ عبده خليفةً له، وتمرد علىٰ سنته في خلقه التي هي رفع بعضهم فوق بعض ابتلاءً لهم فيما تفضل به عليهم من نعمه الكريمة.

وإذا كان كل واحدٍ من الرعية مسؤولاً عن الدم الذي يريقه بيده أو لسانه، فإن الراعي، أي: الحاكم مسؤول عن كل دمٍ يراق في ظله.

ويا ويل من يجرؤ علىٰ غاية هذا الوجود العظيم التي هي الإنسان.

وحدد ربك العزيز الحكيم جزاء من يريق دماً بريئاً، فقال: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فجزاؤُهُ جَهنَّمُ خالِداً فيها﴾**[٢].

فكيف بمن يقتل بسببه عدة من الأبرياء؟

ومن حُرمة الإنسان أن قاتله غير المتعمد يجب عليه صوم والدِّيه.

ومنها أن الرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ كان إذا بلغه أن أحداً قُتِلَ ظلماً، صعد المنبر، وقال بحزنٍ عميقٍ: «**لو مِتْنا جَميعاً كَمَدا لكانَ مُناسباً، لأنَّ دَماً قَدْ أُرِيقَ بالباطِلِ**».

هذا هو شأن الإنسان في الإسلام.

فلينظر الحاكم المسلم في فداحة الجرأة علىٰ هذا الشأن الكريم الذي امتحنه الله ـ سبحانه ـ به، وأعلن الانتصار له إذ جاء في الحديث القدسيّ: «**مَن أهانَ وليًا لي فقد بارزني بالمحاربة**»[٣].

وهذا تحذير للحاكم والمحكوم من إيذاء المؤمن الذي يشمل احتقاره واغتيابه وبهتانه والاستعلاء عليه والاستهزاء به وظلمه والعدوان عليه وسواها مما

---

(١) الأنعام: ٦/ ١٦٥.

(٢) النساء: ٤/ ٩٣.

(٣) الجواهر السنية في الأحاديث القُدسيَّة: للحر العامليّ: ٩٩.

يوجب غضب الرب ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فقد ورد في الروايات أنه إذا كان أحد جالساً ووقف بين يديه آخر وقوفاً ينقص كرامة الواقف ألقي ذلك الجالس علىٰ وجهه في النار يوم القيامة.

وورد فيها أيضاً أن من احتقر مؤمناً خوطب يوم القيامة بالخائن لله ورسوله وألقي في النار مكبلاً بالسلاسل.

كما ورد قول أشرف الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**مَنْ سَرَّ مؤمناً فقد سَرَّني فقدْ سَرَّ الله**»[1]

(١) أصول الكافي.

سياسةُ عليٍّ (ع)

يرمي الحكم في الإسلام إلىٰ تعبيد الناس لربهم العزيز الحكيم - سبحانه وتعالىٰ - ومساعدتهم علىٰ الاقتراب من لطفه الواسع الرحيم.

فموظفو الدولة الإسلامية دعاة إلىٰ الحق هداة إليه يذكرون الناس بما لهم وما عليهم من غير كلام، فهم يبلغون دين الله بأفعالهم التي تترجم أقوالهم التي يجب أن تبقىٰ طيبة تسر السامع، وتنبه الغافل، وتهدي التائه، وتنشر الخير، وتذيع المحبة، وتطفئ الفتنة.

وهكذا كان أمير المؤمنين - عليه السلام - وأكثر منه، فقد عرفه الجميع بدوام الحضور في كل خيرٍ والدلالة عليه، وقمع الشر، وقضاء الحاجة.

فقد كان - عليه السلام - يتفقد أحوال الناس أيام ولايته المثقلة بالمشكلات الجسيمة يعود مرضاهم، ويرحم ضعفاءهم، ويكرم فقراءهم ويعطي كل ذي حق حقه لا يؤثر قريباً علىٰ بعيدٍ، ولا يقدم صديقاً من غير استحقاقٍ، فالناس عنده أعضاء جسدٍ واحدٍ ليس فيهم غالٍ ورخيص إلا بالحق.

ولهذا كان - سلام الله عليه - يخرج من حر الصيف اللاهب إلىٰ ظل حائط ليستطيع المحرومون والمظلومون الوصول إليه والطلب منه والاستعانة به.

قد عرف بنومه علىٰ التراب بينهم بلا حراسةٍ ولا أعوانٍ، فإذا استيقظ سار في الشوارع يستطلع أحوالهم ويستقصي شئونهم.

ودخل إلىٰ منزله ظهراً، فإذا امرأةٌ تبكي شاكلةً خائفةً من زوجها،

فاستمهلها إلىٰ العصر لأنه كان تعباً جداً، فقالت له: يا أمير المؤمنين أخشى أن يطول غيابي، فيزداد غضبه عليَّ.

فانتفض ـ عليه السلام ـ وقال لا والله لا ينبغي تأخير نصرةُ المظلوم.

يجب أن يؤخذ للمظلوم حقه.

وسار معها إلىٰ بيتها وأصلح ما بينهما خير إصلاح.

من هنا يتبين للقائمين بشؤون المسلمين أن مناصبهم تكليف لا تشريف، وأن أداءهم لهذا التكليف يستدعي اقتفاء أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في الأفعال والأقوال والسهر علىٰ قضاء حاجات العباد وحل مشكلاتهم من دون تأجيلٍ ولا إهمال.

فمن الجهاد الأكبر الذي هو أساس النجاة والفوز بكرامة الدنيا وسعادة الآخرة توطين النفس علىٰ أداء حقوق الناس ورعاية كراماتهم وحفظ راحتهم ورفع ما يؤذيهم أو يخيب ظنهم بالإسلام.

فإذا رأىٰ الناس ذلك اطمأنوا إلىٰ الإسلام، ووثقوا بمبادئه، واقتربوا من الله ـ جل وعلا ـ وحظي المعنيون بإقامة الأحكام وإجراء الحدود بجزيل الثواب والخلاص من فادح العقاب يوم يجدون ما عملوا محضراً لا تغيب منه شاردة ولا واردة.

اللهم وفقنا لما يرضيك واجنُبنا ارتكاب معاصيك.

حُرْمة المُسْلِمِ

إن من أهم المنجيـات والباقيـات الصالحـات التي يجب علىٰ المؤمنين التنافس فيها حفظ كرامة المؤمن من غـائلة الألسنة القـاسية وصـون وجهه عن البهتان والهمز واللمز.

ونقـل الأخبار من غيـر تروٍّ وتبصـرٍ فيها إسـاءة بالغـة للعباد، لأنـه هتك لحرمـةٍ غاليةٍ علىٰ الله ـ سبحانه وتعـالىٰ ـ فقد ورد في الأخبـار أن الرسـول الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ خطب الناس قائلاً: «إنَّ درهماً مِنَ الرِّبا أكْبَـرُ مِنَ الزِّنا سِتّاً وثلاثينَ مَرَّةً، وإنَّ أشَدَّ مَراتِب الرِّبا هو سَلْبُ كرامةِ المُسلمين».

والاستهزاء بالناس واحتقارهم من سلب كرامتهم الذي لا يقل عن إراقة دمائهم.

وهكذا بالإضافة إلىٰ الغيبة والافتراء وسائر الـدنايـا المحرمـة التي تعدم المروءة وتقضي علىٰ الشرف.

والمروءة هي أن لا تفعل شيئاً في السر تستحيي منه في العلانية.

والشرف هو أن لا تسيء إلىٰ من أحسن إليك سراً أو علناً.

فما أعظم إحسان الله الدائم إليك علىٰ كل حالٍ وأنت تسيء إليه بإيذاء عباده!

ومـا أكثر الـرذائل التي مـددت يديـك إليهـا سـرّاً وأنت تلعن جهـراً من يتصورها فضلاً عمن يفعلها!.

سل نفسك: أين أنت؟ وما قربك من الله؟

ولا تنسيَّن أن قربك من الله هو بمقدار قربك من عباده.

ولن تنال لذة القرب من العباد وأنت مشتغـل بغيبتهم وبهتانهم والافتـراء عليهم وسواها مما يشينه هو قِبل غيره ويورثه الحسرة والندم.

تجسُّم الأعمالِ

الكلام على تجسُّم الأعمال من المباحث العرفانية الطريفة، وقد ورد عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أن أعمال العباد تتجسَّم في أعيانٍ حسنةٍ وقبيحةٍ علىٰ حسب نوعها، وتكون معهم في البرزخ.

حتىٰ في الحياة الدنيا تتجسم الأعمال لأصحابها في تلك الأعيان سوىٰ أنها لا تبين إلّا لأولئك الأولياء والمطهرين الذين أخلصوا الله وزكت نفوسهم في طاعته علىٰ نحو ما حصل من إراءة الإمام زين العابدين ـ عليه السلام ـ في الحج حقيقة الحاج.

فقد ورد عنه أنه كان مستغرقاً في المناجاة بعرفات حين جاءه الرجل الصالح الزهري، فسأله ـ عليه السلام ـ: ما عدد الحاضرين هنا؟

قال الزهري: زهاء أربعة آلافٍ وكلهم مشغولون بالمناجاة.

فقال ـ عليه السلام ـ: «**ما أكْثَرَ الضجيجَ وأقلَّ الحجيجَ**»!.

أي أنه لم يكن من أولئك سوىٰ ارتفاع الأصوات كهدير الإبل بحثاً عن العلف لقلة الإخلاص في النية وتكدرها بمقاصد الدنيا الذميمة.

ثم قال للزهري: أدن مني، وانظر إلىٰ هؤلاء، كيف تراهم؟

فقال: لا أرىٰ غير مردةٍ بينها عدة نفرٍ من الناس.

قال الإمام ـ عليه السلام ـ وقد مد يده إلىٰ الزهري: والآن ماذا ترىٰ؟

قال: خنازير كثيرة بينها ناس قليل.

ومَدَّ الإمام يديه نحو وجه الزهري، وقال له: وماذا ترىٰ الآن؟

قال: أرىٰ حيواناً كثيراً عددها فيها ناس قليل[1].

---

(١) تفسير العسكري: ٢٥٦ حاشية كنز العرفان.

وتظهر حقائق الأعمال ملامح الناس وانفعالاتهم وسيـرتهم علىٰ نحو مـا ورد في الروايات عن الأئمة المعصومين ـ عليهم السلام ـ أن الأفعال تستحيل إلىٰ ملكاتٍ باستدامة تكرارها.

والملكة هي تحدد هوية الإنسان.

فالظلم والذنب يحول الإنسان إلىٰ مفترس.

وقد قيل: إن عالماً كان عند ظالمٍ، فدعاه إلىٰ العشاء، فامتنع، فأرغمه علىٰ تناوله، فلمـا تناول لقمـة منه سـال الدم من بين أصـابعه، فـرماهـا علىٰ الأرض، وكف عن تناول الطعام.

والمادة هي ظاهر الدنيا، والآخرة باطنها.

الدنيا بمنزلة الجسد، والآخرة بمنزلة الروح.

وما هو في الآخرة تمكن مشاهدته في هذه الدنيا.

فحذار من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ما يَراهُ الأولياءُ

قال المرحوم الحاج مؤمن: أخبرني أحدهم أن عنده مقدار حمصةٍ تراباً من قبر سيد الشهداء الحسين ـ عليه السلام ـ وأنه وضعها في كفنه، فإذا كان يوم عاشوراء كل سنةٍ، صارت دماً عبيطاً يبلّ ذلك الكفن، وبعد مدةٍ تجف.

فرغبت إليه في الذهاب معه إلىٰ منزله في يوم عاشوراء، لأرىٰ ذلك بعيني، فرحب بي، ففتح الصرة، فرأيت الكفن المدمىٰ مندى من تراب قبر الحسين اليسير جداً، فانفجرت باكياً مستعبراً من تلك الصورة العظيمة، حتىٰ فقدت وعيي.

وقال الشيخ عباس القمي ـ رحمه الله ـ: ذهبت يوماً إلى وادي السلامَ بالنجف الأشرف لزيارة أهل القبور، فسمعت رغاء بعير يكوىٰ بالنار يزلزل الأرض بلوعته.

ولما دنوت من الرغاء لم أر بعيراً يكوىٰ، وإنما رأيت جنازةً يراد دفنها وذاك الرغاء ينبعث منها، ومن حولها لا يسمعون منه شيئاً وهم منشغلون باللحد لها.

فعرفت أنها جنازة ظالم رأت هول البرزخ وبشاعة ما ارتكب صاحبها من جورٍ فضجت مستوحشةً من شناعة الفعل القبيح ورعب العذاب التي أقبلت عليه.

وسبحان القائل: **﴿وكُلَّ إنسانٍ ألْزَمَناهُ طائِرَهُ في عُنُقِه ونُخْرجُ له يومَ القِيامةِ كتاباً يلقاهُ مَنْشُوراً﴾**[1].

---

(١) الإسراء: ١٧/ ١٣.

فالنظرة المحرمة تتجسم في صورة قِرد، وأكل الحرام يتجسم في صورة فأرةٍ، والنميمة والكذب والغيبة وجراحات اللسان تصير كلباً.

وهكذا سائر أعمال الإنسان تتجسم في صورة ما يناسب بشاعتها، وترافق مرتكبها في ظلمات البرزخ الدامسة الثقيلة ﴿يَوْمَ تَجدُ كلُّ نَفْسٍ ما عمِلتْ من خيرٍ مُحْضَراً وما عَمِلت مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ أنَّ بيْنَها وبينَهُ أمْداً بعيداً. ويُحَذِّرُكُم الله نَفْسَهُ والله رَءُوفٌ بالعِبادِ﴾[1].

(١) آل عمران: ٣/ ٢٠.

الـحَصَـاد

الجنة والنار ثمرتا أفعال العباد بشهادة الحديث الشريف: «**الدنيا مزرعة الآخرة**».

أي أنك لا بد أن تحصد ما تزرع من شوكٍ أو عنبٍ.

فالآخرة جبل، وأفعالنا صوت يصطدم بنا ويرجع إلينا هداهُ.

فاحذر أخي من الابتهاج بحسن العمل، فرحمة الله وعفوه لا يصافحان معجباً بفعله.

وإذ يكون نصيب الإنسان ماء الحميم أو النار الحامية، فإنه هو المختار لهذا النصيب البائس المحزن بارتكابه لما لا يليق به من الأفعال بدلالة قوله ـ تعالىٰ ـ **﴿ذلِك بِما قَدَّمَتْ أيديكُمْ وأنَّ الله لَيسَ بظلَّامٍ للعبيد﴾**(١).

ولا ريب في أن الاستهزاء بالناس، والضحك منهم والتهاون في قضاء حاجاتهم يجر إلىٰ سوء العاقبة الذي لا ينجو منه إلا من استضاء وجوده بهدىٰ الرحمان واطمأنَّ بعفوه ـ تعالىٰ.

وما من إثم يقارفه المسلم إلا أطفأ ناحيةً من اليقين بالله والاعتماد عليه، فكلُّ باطلٍ يصير ناراً تحرق مرتكب المعاصي بما فعل من المظالم **﴿لقد كُنْتُ في غَفْلَةٍ مِن هذا فكشفْنا عنكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَومَ حَديد﴾**(٢).

فأين من ينفض عن كتفيه رداء الغفلة، ويكشف الغشاوة عن بصره، ليهنأ بنعمة الانتصار علىٰ العدو الأكبر نفسه التي بين جنبيه؟

---

(١) آل عمران ٣/ ١٨٢.
(٢) ق ٥٠/ ٢٢.

اللِينُ والشدة

بعد ما حذر الإمام ـ عليه السلام ـ النجاشي ـ رحمه الله ـ من إراقة دماء الناس في ظله وإيذاء أولياء الله في كنفه دعاه إلىٰ أمرٍ خطيرٍ آخر هو معاملة الرعية علىٰ وفق قواعد الإسلام، فقال له: **«والرفق بالرَّعيَّةِ والتأنِّي وحُسن المُعاشَرةِ مع لينٍ في غير ضَعْف وشِدَّةٍ في غير عُنف»**.

وهذا الحديث الشريف يدُلنا علىٰ أمرين مهمين هما:

١ ـ يجب علىٰ الحاكم المسلم أن يكون ليناً متأنياً حسن المعاشرة.

٢ ـ يجب أن يكون لينه في حزم وشدته في عدلٍ.

فالعنف يعزله عن الناس ويقصيهم عنه، والتسرع يورده موارد الظلم، والفظاظة تفض الناس من حوله كما نص القرآن الكريم علىٰ ذلك: **﴿ولو كنتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانفضُّوا مِن حولِكَ﴾**[1].

فيقعد بغيضاً مذموماً.

ولينه من غير حزم مطمعة فيه، وشدته من غير عدل مسقطة في الجور.

فالحاكم المسلم خفيض الجناح من رحمةٍ بعيد الهمة من عزمٍ يؤمل خيره ويومن شره.

(١) آل عمران: ٣/ ١٥٩.

النَّمَّامُ

وإذ كتب النجاشي ـ رحمه الله ـ إلىٰ مولانا الصادق ـ عليه السلام ـ يسأله: «وبمن آنس؟ وإلىٰ من أستريح؟
وبمن أثق وآمن وألجأ إليه في سري؟».

أجابه ـ عليه السلام ـ قائلاً: **«وإياكَ والسُّعاة وأهلَ النمائم، فلا يلزقَنَّ بكَ منهم أحدٌ، ولا يَرَاكَ الله يوماً وليلةً وأنتَ تَقْبَلُ منهم صرفاً ولا عَدْلاً، فَيَسخَطَ عليكَ ويهتِكَ سِتْرَكَ».**

وهذه النصيحة هادية للراعي والرعية، فهي تنص ألا يكون المعاون والرفيق من أولئك الماشين بين الناس بالفتنة التي هي أكبر من القتل بنص القرآن الكريم.

وهي تحذير من كل آثم، وتهديد لمن يستطيب معاشرته.

وهذا التحذير الشديد من الإمام ـ عليه السلام ـ لا يختص بالحاكم وحده، وإنما يشمل عامة الناس.

أي أن تقريب هؤلاء النمامين أو مشاورتهم ظُلم ظالِم يقود إلىٰ سخط الرب ـ تبارك وتعالىٰ ـ علىٰ من يقربهم أو يشاورهم وفضيحة له.

فهؤلاء لا يدلون علىٰ خيرٍ، ولا يجتنبون مفسدةً، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويلوثون الحياة بالفرقة والفتنة، وفيهم نزل القرآن الكريم: **﴿إنّ الذينَ فَتَنُوا المُؤمِنينَ والمؤمِناتِ ثُمَّ لم يَتُوبُوا فلهم عَذَابُ جهنَّمَ ولهم عذابُ الحريق﴾**[1].

وجاء فيهم أيضاً: **﴿إنَّ الذينَ يُحبّونَ أنْ تَشِيعَ الفاحِشةُ في الذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أليم في الدنيا والآخرة﴾**[2].

---

(١) البروج ٨٥/ ١٠. (٢) النور ٢٤/ ١٩.

التوحيد

قال المرحوم كاشف الغطاء: «بُنِيَ الإسلام علىٰ كلمتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة».

فكلمة التوحيد هي الإقرار بوحدانية الله ـ تعالىٰ ـ إقراراً ينفي عنه كلَّ شريك.

وتوحيد الكلمة هو أن يكون المسلمون يداً واحدةً علىٰ من سواهم تجمعهم الأخوة في الله ويدعمهم الإخلاص له ـ سبحانه ـ.

فإذا اجتمع لهم هذان الركنان قويت شوكتهم وظهرت هيبتهم، وعلا صوت الإيمان علىٰ صوت الشرك، وخرج الناس من ظلمات الجهل إلىٰ نور الهدىٰ، واستقامت الحياة علىٰ الحق والخير والعدل.

وكان لحملة أنوار الرسالة ومبادئها القويمة الرشيدة جزيل الثواب، وهو عزَّةُ الدنيا وسعادة الآخرة.

وكل خللٍ يعتري توحيد الكلمة يصيب كلمة التوحيد.

فحذار من غفلةٍ أو تهاونٍ في حقوق الإخوان التي تجب صيانتها عن كل سوءٍ لارتباط هذه الصيانة بتوحيد الله ـ تعالىٰ ـ الذي لا يتم إلّا بتوحيد المؤمنين به صفوفهم وتآلفهم في ضوء قيمه الرفيعة وأحكامه المنقذة.

وهذا التآلف لا يكون إلّا بسد منافذ الشيطان إلىٰ القلوب وفي طليعته تطهير الألسنة من الغيبة والنميمة والابتعاد عن المغتابين والنمامين عسىٰ أن يهجروا ما هم فيه من مخالفة الشرع وهدم الصف المؤمن.

قال الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم - رحمه الله -: «إن ما جاء علىٰ لسانك من أنَّ فلاناً قال كذا أو فعل كذا غير مصدق عندي على وفق أصالةِ البراءة التي تقضي بأن من لم نسمعه ولم نره بريئ مما يسند إليه من قبح.

أما أنت الذي نقلت لي، ففاسق، والفاسق لا يؤخذ بكلامه في الإسلام».

فإذا ساد هذا التعامل صينت كرامات الناس وعمتهم ثقة بعضهم ببعضٍ، واطمأن بعضهم إلىٰ بعض، فصفت قلوبهم وتوحدت كلمتهم.

من هنا تتجلىٰ ضرورة الصلاح واتخاذ الصالحين خليلاً.

الصـدَاقـة

الإنسان مجبول علىٰ الاستئناس بأخيه الإنسان، وهو يؤثر فيه ويتأثر به.

فإذا كان نبيلاً رفعه إلىٰ ما هو سام من الفضائل، وإذا كان وضيعاً اجتذبه إلىٰ ظلمة الرذائل.

فلا بد للمؤمن من معاشرة الصالحين والركـون إليهم والاعتماد عليهم، لينال خير الدنيا والآخرة.

فالصديق الصالح يوقظ من الغفلة، ويدعو إلىٰ الخير، ويذود صديقه عن الباطل، ويعينه علىٰ الحق، ويحبب إليه مكارم الأخلاق، ليهنأ بلذة الاستقامة والسمو علىٰ الدنايا الشائنة.

ولذلك قيل: النظر إلىٰ وجه الأخ يزيد في البصر.

وحب الأخ في الله يـورث حب الله وتستنزل رحمتـه وعفـوه، لأن قلوب الصالحين مظهر اللطف الإلاهي وقلوبهم عرش الرحمان ـ جل وعلا.

وإياك وصديق السوء وصداقة لغير الله، فإنهما يفسدان القلب، ويتلفان، المروءة التي هي مصداق الحديث الشريف: **«اعْبُدِ الله كأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لم تكُنْ تراهُ، فإنَّه يَراك»**.

والجدير بالصداقة هو من قال فيه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ **«يَصِفُ الحقَّ ويعملُ بهِ، لا يَدَعُ للخير غايةً إلاّ أمَّها، ولا مَظِنَّةً إلاّ قَصَدها، قَد أمكن الكِتابَ مِنْ زِمامِهِ، فهو قائدُهُ وإمامُه»**[1].

(١) نهج البلاغة: خ ٨٧.

ومن حق الصديق أن تحفظ عليه ما يسرك به، ويطلعك عليه من شئـون الخاصة والعامة، فحفظك الأسرار يصونك عن الحرج والإثم، ويحببك إلىٰ من يأتمنك، ويعظم ثقة الناس بك وإقبالهم عليك.

وذلك من أكبر النعم، إذ تُثاب ثواب الفار من الشر الساعي إلىٰ الخير، الصائن للحرمات، الراعي للذمم، المؤلف بين القلوب.

ومن عود نفسه حفظ الأسرار اعتادته واستأنست به، ودخلت حظيرة العفو والمغفرة.

وقد يطمئن أحد إلىٰ أحدٍ، فيبيح له سراً تضر إباحته المصلحة العامـة، فيخبـر هذا بـه من يثق به، فينتقـل من هذا إلىٰ ذاك حتىٰ يبلغ من يسفـك بـه الدماء، ويدوس الحرمات، ويهتك الأعراض، ويظهر الفساد في الأرض.

ولا ريب في أن من أذاعـوه جميعاً مـأخـوذون بمـا نجم عن إذاعتـه من مفاسد.

فأسرار الحكومة الإسلامية يجب كتمانها وتفويت الفرصة علىٰ المنتفعين بها، فهي أمانـة الجميع الكبـرىٰ، لأنها تعني المسلمين اليـوم ومن يأتي منهم غداً.

والتفريط بالأمانة الكبـرىٰ مسقطة في النـار الحاميـة، ومذلـة في الدنيـا والآخرة.

صديقُ السَّوءِ

القـرآن كله هـداية للنـاس واستنقـاذ لهم من مختلف الشـرور الكثيـرة المتربصة به، وقد جمعت سورتا الفلق والناس جوامع تلك الشرور.

ففي سورة الفلق يعوذ الإنسان بخالقه العظيم ـ سبحـانه وتعـالىٰ ـ من هذه الشرور:

١ ـ من شر ما خلق الرب ـ جلا وعلا ـ وما أكثر خلقه ـ سبحانه!

٢ ـ من شر الليل الشديد الظلمة وما يحاك فيه من دسائس وفتنٍ.

٣ ـ من شر السواحر اللواتي يضللن الناس بمكرهن.

٤ ـ من شر الحاسدين الذين يتمنون زوال النعمة.

وفي هذه السورة المباركة يعوذ العبد بسيده من أربعة شرورٍ.

وفي سورة الناس يعوذ بالله السميع العليم ثلاث مراتٍ من شيءٍ واحدٍ هو رفيق السوء الذي يوسوس في صدره.

ورفيق السوء إمّا عاصٍ، وإمَّا منافق يظهر خلاف ما يبطن.

وأولهما سهلة معرفته ميسور تجنبه، فشرّه ضئيل.

أما ثانيهما، فشره خطير جداً، لأنه مستخفٍ يعمل بالغدر والمكر يهـدم الدين بالادعاء به والمراءاة بالتزامه وهـو يغدر ويفجر.

وإذا كان لصوص المنازل يأتونها ليلاً، فهؤلاء المنافقون المكرة يسرقونها نهاراً.

وإذا سرق الجاهل إبريقاً، فإنّ المنافِق يسرق قلباً وروحاً.

حَقيقة الدّنيا

كان الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ عارفاً بعاقبة مسيره إلى كربلاء تمام المعرفة، غير أنه أراد لقاء ربه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ أكرم وجهٍ وأعز حالٍ زاهداً في الدنيا معرضاً عنها لإدراكه حقيقتها ويقينه بخداعها وغرورها، فآثر موت الكرام علىٰ عيش اللئام.

فما الدنيا أصلاً وفصلاً؟

لا تعدو قول خالقها السميع العليم فيها: **﴿وما الحياةُ الدنيا إلاَّ لَعِبٌ ولَهْوٌ وللدارُ الآخِرَةِ خيرٌ للَّذِين يتَّقُونَ أفلا تعْقِلُون﴾**[1].

فكل ما فيها لعب ولهو تضتني لذته، وتبقىٰ حسرته، إلاّ التقوىٰ التي هي اليوم شرف وغداً فوز عظيم لا يناله إلا من أبصر وتدبر.

وقد أبان ربك ـ سبحانه ـ بُطْلاَنَ هذه الدنيا وما فيها، ووكَّد لنا أن الحياة الحق هي الآخرة التي لا يلتفت إليها غير أولي العلم، فقال: **﴿وما هذِهِ الحياةُ الدُّنيا إلاّ لَهْوٌ ولَعِبٌ وإنَّ الدارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لو كانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[2].

ووكَّد الرب هذه الحقيقة مفصلاً في قوله الحكيم: **﴿اعْـلَمُـوا أنَّما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ وزينةٌ وتَفَاخُرٌ بينكُمْ وتكاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أعجَبَ الكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَرَّاً ثُمَّ يكونُ حُطاماً وفي الآخِرةِ عَـذَابٌ شَديدٌ ومَغْفِرَةٌ مِنَ الله ورِضْوانٌ وما الحياةُ الدُّنيا إلاّ مَتاعُ الغُرورِ﴾**[3].

فحقيقة الحياة بعيداً عن عبادة الله الواحد الأحد ـ عز اسمه ـ هي عبث باطل كما قرر خالقها ـ سبحانه ـ فاللهو واللعب انشغال عن الحق الذي به تستقيم مسيرة الكمال.

---

(١) الأنعام: ٦/ ٣٢.   (٢) العنكبوت: ٢٩/ ٦٤.   (٣) الحديد: ٥٧/ ٢٠.

ولو وعىٰ طالب الزينة والمشغول بها لما فاخر ولا كاثر فيما هو زائل زوال زرعٍ ساعة ابتهج به زارعه.

فكل ما هو مأخوذ به لا يستحق شيئاً من هذا الإقبال الأعمىٰ عليه، لأنَّ الدنيا كلها علىٰ ما يقول الخواجه عبد الله الأنصاري: «مثل ضحك المجانين وبكاء السُّكارىٰ، يضحكون بلا فرحٍ ويبكون بلا حزن».

فيا بؤس من يكون أسير هذا الوهم!

ويا لها من فاتنةٍ هذه التي تعبث بالعقول ساخرةً من الملوك والرعاة المتعلقين بها وهي تقذف بهم في النيران بلا رحمة!

وفي قصة البرامكة عبرة وموعظة، فعندما قتل جعفر ونهبت أمواله وذل رجاله، وقع أبوه يحيىٰ في السجن ضعيفاً مهاناً بعد سيادةٍ وغطرسةٍ، فتوسل بالسجان صاغراً أن يأخذ منه نقوداً يشتري له بها لحماً وقدراً، فلما صار بيديه خفض ذلك الرأس المستعلي زمناً طويلاً ليذله بنفخ الرماد تأجيجاً للنار، وبعد عذاب وشقاءٍ وهوانٍ طاب اللحم، فلما التقطه من القدر سقط منه بين الجمر والرماد، فتأوه حزيناً متألماً.

وطارت به الذكرىٰ إلىٰ يوم كانَ جالساً فيه في زورقٍ تلاطفه أمواج دجلة وتناغمه الطير والسمك يطير من حوله كأنه في احتفال به، وقد سقط خاتمه في الماء وكان يحبه حباً جماً، فآغتمَّ، لكن غمه لم يطل، فقد كان هناك طفل يصطاد السمك، فوجده في بطن سمكةٍ فجاءه به من فوره.

تذكر ذلك في لمح البصر، وتأوه ضارعاً إلىٰ الله وهو يقول: «رباه إنك رجعت العقيق الذي صار طعمةً لسمك البحر المتلاطم، فَصِل الآن يدي إلىٰ فمي».

هكذا الدنيا في إقبالها وإدبارها، فلا خير يدوم ولا شر يدوم علىٰ مال ربك ـ سبحانه ـ: ﴿**وتِلْكَ الأيَّامُ نُداوِلُها بينَ النَاسِ لِيَعلَمَ الله الذينَ آمنُوا**﴾[1].

---

(١) آل عمران: ٢/ ١٤٠.

ذِكْـرىٰ

تقلب الدنيا بين أعيننا من حالٍ إلىٰ حالٍ وتبدل أحوال الناس من فـوقٍ إلىٰ دونٍ، ومن دونٍ إلىٰ فوق، وظهور اللئام علىٰ الكرام وخضوع السادة للعبيد وما يزدحم فيها من المضحك المبكي مدعاة يقظةٍ وإدراك أن هذه الدنيا مصيدة من مصائد الشيـطان يستولي بهـا علىٰ الغافلين والضعفـاء، ليسوقهم إلىٰ هـوة الخسران والخيبة عليهم العار والشنار.

فإياكم ـ عباد الله ـ والتعلق بحبائل إبليس وجنوده.

أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم التي هي بيت الله ـ سبحانه وتعالىٰ.

لا تبيعوا الخلود والسعادة بالفناء والشقاء.

لا تخسروا أنفسكم بمنصبٍ كاذبٍ يطفئ ذكر الله في قلوبكم، ويغريكم بظلمات العدم.

لا تدوسوا المحبة والأخوة من أجل شيءٍ يوري بينكم العداوة والبغضاء.

فأين الإخلاص من الشرك؟

وأين التواضع من التكلف؟

ولا تنسـوا أن ركاب الشيـطان يبدأ من حب النفس والاستجـابة لهـواها الجامح الذي يعمي عن الحق ويصم بألوان الغرور.

الـزهـد

كان أستاذنا الكبير قائد الثورة الإسلامية الجليل يكرر علىٰ الطلبة أن لا تضيعوا حياة الشظف والتواضع في الحوزة.

وكان يخشىٰ أن تفقد الحوزة الزهد الذي حفظ عليها استقامتها دهراً داهراً وصانها عن السقوط في مهاوي الترف الشائن.

وهكذا يجب أن يعيش الراغبون في إعلاء كلمة الله المشتاقون إلىٰ سيادة أحكامه حياةً زاهدةً نزيهةً عن المظاهر التي تبعد الإنسان عن ربه ـ تعالىٰ ـ علىٰ ما ورد في الحديث الشريف: «**اخشوْشَنُوا فإنَّ التَّرف يُزيلُ النِّعَمَ**».

ولا بد لمن يعد نفسه للجهاد في ظل ولي الله الأعظم ـ عجل الله فرجه الشريف ـ أن يأخذ نفسه بالعبادة والزهد والخضوع لله ـ تعالىٰ ـ خضوعاً يرفعه عن مزالق الشيطان ودواعي الخسران.

وليكن شأنكم فيما تطلبون كما قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: **«يَعفو عمَّن ظلمهُ، ويُعطي من حَرَمهُ، ويصل من قطعه، بعيداً فُحشه، ليِّناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شرُّهُ.**

في الزلازلِ وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور.

لا يحيف علىٰ من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب.

يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكِّرَ، ولا ينابز بالألقاب، ولا يضارُّ بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق.

نفسه منه في عناءٍ، والناس منه في راحةٍ.
ليس تباعده بكبرٍ وعظمةٍ، ولا دُنُوُّهُ بمكرٍ وخديعةٍ»[1].

ومن تمسك بوصف أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ للمتقين الذي ذكرنا منه طرفاً آنفاً سعد في الدنيا والآخرة ونجا من شرهما.

وليس الزهد باعتزال الناس والإعراض عن الخير، وفي طليعته خدمة المؤمنين، فقد ورد عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ قوله: **«الزهدُ بين كلمتين من القرآن، قال ـ سبحانه ـ: ﴿لكَي لا تأْسَوا علىٰ ما فاتكُم ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكم﴾**[2].
ومن لم يأس علىٰ الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزُّهد بطرفيه»[3].

أي أن الزاهد غير ناظر إلىٰ ما ليس في يده، لانشغاله فيما هو بين عينيه مما لله عليه من عظمة الحق.

فقد ورد عن سيدة نساء العالمين الزهراء ـ عليها السلام ـ أنها أعطت ثوب زفافها في سبيل الله، وارتدت ثوباً بالياً ليلة زفافها إيماناً منها بقوله ـ تعالىٰ ـ: **﴿لَنْ تَنالُوا البرَّ حتَّىٰ تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّون﴾**[4].
وفي هذا المثال السامي دليل على أن الزهد هو نفع الناس، لا الفرار منهم.

---

(١) نهج البلاغة: خ ١٩٣ وهي من روائعه وكله روائع.
(٢) الحديد: ٥٧/ ٢٣.
(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم: ح ٤٩٦.
(٤) آل عمران: ٢/ ٩٢.

تَحْذِير

دل الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ النجاشي على ما يغضب الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ عبده، وها هو ذا يختتم ترهيبه لينتقل منه إلى الترغيب فيما عند الله من واسع الخير والنعيم المقيم، فقال له:

«يا عبْدَ الله إيَّاك أنْ تُخيفَ مؤمِناً، فإنَّ أبي محمد بن علي ـ عليه السلام ـ حدَّثني عَن أبيهِ عن جَدِّهِ عن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ أنه كان يقول: مَنْ نَظَرَ إلىٰ مُؤْمِنٍ نظرةً ليُخِفَهُ بِها أخافَهُ الله يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلُّه، وحَشَرَهُ في صُورةِ الذَّرِّ لَحْمَهُ وجَسَدَهُ وجميع أعضائهِ، حتىٰ يُورِدَهُ مَوْرِدَهُ».

هذا جزاء نظرة تنظر لإخافة مؤمن، فما بالكم بجزاء ما هو فوقها من الإيذاء من مصادرةٍ علىٰ مالٍ وتشريدٍ وسجنٍ وتعذيبٍ وقتل؟

وفي رواية أخرىٰ أنه يحشر في صورة النمل، ويعرف يومئذٍ بحقيقته، لأن الناس يحشرون يوم الفصل علىٰ حقائقهم.

وفي كلامنا علىٰ تجسيم الأعمال إشارة لمثل هذا.

فالظالم مثلاً يحشر علىٰ هيئة كلبٍ، والمسرف يحشر علىٰ هيئة قردٍ، والمحتالُ علىٰ هيئة ثعلب.

ويكونون علىٰ حالةٍ يعرفهم الكل بها أسماءهم وعناوينهم وأزمنتهم.

وهذا هو معنى ﴿يوم تُبْلَىٰ السَّرائر﴾[1] أي: يكشف عن كل خبءٍ ودفينٍ، فلا تنفع حيلة ولا وسيلة في ستر الفضيحة ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[2].

---

(١) الطارق: ٨٦/ ٩.

(٢) آل عمران: ٣/ ١٠٦.

الـمُنْجِيـاتُ

وإبتـدأ الإمام الصـادق ـ عليه السـلام ـ تذكيـر النجاشي بـالمنجيـات والباقيات الصالحات اللاتي يتنافس فيهن الصالحون، فقال له: **«وحـدَّثني أبي عن آبائه عن عليٍّ ـ عليه السلام ـ عنِ النبيّ ـ صلَّىٰ الله عليهِ وآلِه ـ قال: مَنْ أغـاثَ لهفانـاً مِن المؤمنينَ، أغاثـهُ الله يومَ لا ظـلَّ إلاّ ظلُّه، وآمنَهُ مِنَ الفَـزَع الأكبر، وآمنهِ من سوء المنقلب»**.

يا لها من بشرىٰ كريمةٍ!

ما أعظم إغاثة الرب العزيز الحكيم يوم لا ظل إلا ظله!

وما أسعد الإنسان بالأمن من يوم الفزع الأكبر الذي ترتعد له الفرائص، وتذوب القلوب رعباً!

وما أهنأ النجاة من النار!

هذه النعم المباركة تنال بعملٍ يسيرٍ يغيث به المؤمن أخاه اللهفان، وقد لا يتعدىٰ ذلك كلمةً طيبةً تكتب له تلك المغانم الكبرىٰ عند قيام الساعة التي يصفها أصدق القائلين ـ عز اسمه ـ: **﴿يومَ تَرَوْنَها تَـذْهلُ كُـلّ مُرْضعـةٍ عمَّـا أرْضعتْ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وترىٰ الناسَ سُكارىٰ وما هم بسُكارىٰ ولكنَّ عذابَ الله شَديد﴾**[1].

وقال الصادق ـ عليه السلام ـ: **«ومَنْ قضَىٰ لأخيه المُؤمن حاجةً قضىٰ الله له حوائج كثيرةً إحْدَاها الجنَّةُ»**.

---

(١) الحجّ: ٢٢/ ٢.

ويا لهذا الثواب العظيم من جزاءٍ لقضاء حاجة المؤمن!

وتباً لمن بخل في قضاء حاجة أخيه غافلاً عن عظمة هذا الثواب الكريم.

وقال الصادق ـ عليه السلام ـ: « **وَمَنْ كَسا أخاهُ المُؤمنَ جُبَّةً من عُرى كَساهُ الله من سُنْدُسِ الجَنَّة وإستَبْرَقها وحريرها ولم يَزلْ يَخُوضُ في رضْوان الله ما دامَ علىٰ المكْسوِّ سِلْكٌ منها**». وقال ـ عليه السلام ـ في إطعام المؤمن من أخاه المؤمن وسقيه: «**وَمَنْ أطْعَمَ أخاهُ مِن جُوعٍ أطعمه الله من طيِّباتِ الجنَّةِ.**

ومَنْ سَقاهُ من ظمأ، سقاهُ الله مِنَ الرَّحيق المختوم.

ومَنْ أخدَمَ أخاهُ، أخدمَهُ الله مِنَ الوِلْدانِ المُخلَّدينَ، وأسكنَهُ مع أوليائه الطَّاهرين».

والحشر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وأهل بيته الطاهرين ـ عليهم السلام ـ نعمة سامية لا تعدلها نعمة من نعم الدنيا والآخرة، فهي التي وردت في مناجاتهم العرفانية كالشعبانية ودعاء كميل والندبة وأصواتهم تصدع بالتوسل الخاشع حقاً: «**وأنرْ أبصارَ قلوبنا بضياء نَظَرِها إليك، حتَّىٰ تخرق أبصارُ القُلُوب حُجُبَ النورِ، فَتَصِلَ إلىٰ معدِنِ العظمة، وتصيرَ أرْواحُنا بعزِّ قُدسك**»[1].

وتتضافر الروايات الصحيحة عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أن خدمة المؤمن من أعظم الأعمال عند الله ـ سبحانه ـ وأن السعيد السعيد من حظي بشيءٍ منها خالصاً لله ـ تعالىٰ ـ وأن المنكود حقاً من شغلته مصالح نفسه عن هذه الذخيرة النفيسة حقاً التي خص الله ـ تعالىٰ ـ بها أكرم عباده.

ولا تقتصر خدمة المؤمن علىٰ إبلاغه آماله الكُبرىٰ وحاجاته العظمىٰ، وإنما تشمل كل معروفٍ يسدىٰ إليه حتىٰ الإرشاد إلىٰ طريقٍ، والجواب عن سؤال.

ونفاسة العمل لا تنبع من حجمه وعظيم نفعه، وإنما من الإخلاص فيه وإتقانه.

---

(١) المناجاة الشعبانية.

فالإخلاص في العمل لله يظهر التواضع بين الناس، وينشر الثقة والمحبة فيهم، فتقوىٰ أواصر الإيمان، وتتجلىٰ معالم الحق التي تهدي خلائف الله إليه.

وقد ورد عن الصادق ـ عليه السلام ـ أن ناساً يردون إلىٰ صحراء المحشر مقيدين بالسلاسل مسودة وجوههم غائرةً عيونهم مكتوباً علىٰ جباههم: «هذا آيس من رحمة الله».

فيصلهم النداء: «هذا خائن لله ورسوله»، فيقذفون في النار قذفاً، وذلك بأن أحدهم كان قادراً علىٰ قضاء حاجةٍ لأخيه، فلم يقضها.

ومثل هذا الخبر إنذار للناس ولا سيما المؤمنين من التهاون في قضاء حاجات العباد.

فيجب علىٰ من آتاه الله أن يُعنى ليله ونهاره بإكرام العباد خاصةً ذوي رحمه، فيتفقدهم بالإحسان إليهم والعطف عليهم ومشاركتهم في ما يسرهم ويحزنهم.

فانتصار القائد الشجاع ليس بغلبة الأعداء، وإنما هو فوزه برضوان الله ـ سبحانه ـ الذي ينبع من إعانة الناس وإغاثتهم والتواضع لهم تواضعاً يحبب إليهم الدين، ويضيء قلوبهم بأنواره.

ومن وسائل الفوز بالرضوان الإلاهي ما جاء في قول الصادق ـ عليه السلام ـ: **«ومَنْ حمَلَ أخاهُ المؤمنَ علىٰ راحِلَةٍ، حَمَلَهُ الله علىٰ ناقةٍ منْ نُوقِ الجَنَّةِ، وباهىٰ بهِ الملائكةَ المقرَّبينَ يومَ القِيامة»**.

فأين أصحاب السيارات عن هذه الغنيمة العظيمة؟

فماذا يضير أحدهم لو أوصل منقطعاً وحظيَ بهذه الجائزة السنية؟

وبإمكان المؤمن أن يغتنم ما شاء من الخير المتاح له في هذه الحياة الثرَّة بكل ما يرفع المؤمن عن ثراها إلىٰ حظيرة القدس السماوي من تبسمه في وجه أخيه المؤمن وقوله الكلمة الطيبة، والابتداء بالتحية، والسؤال عن الغائب، وعيادة المريض، واحترام الكبير، وملاطفة الصغير.

حَدِيث الهُداةِ

حبذا استدامة النظر في حديث أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فهو مصباح كل ظلمةٍ، ودليل كل مفازةٍ.

وحبذا التدبر في معانيه الطاهرة، فهي جلاء القلب من الصدأ، وتزكية النفس من عوائق العروج إلىٰ حظيرة الرحمة الواسعة.

وإذا كانت مطالعة الحديث الشريف تنير القلوب، فإن العمل علىٰ وفقه يفتح لها حجب النور الأسمىٰ، ويهبها قدرة التمسك بالعروة الوثقىٰ.

ويزداد أثر الحديث الشريف في النفوس المتطهرة حين تتخذه منار حياةٍ تفعل به الخير وتدل عليه، وتكشف دياجي الغفلة بأنواره الهادية.

وقد اغترفنا نحن في هذا الكتاب يسيراً من معين هذا الفرات، لنبلَّ به ظمأ الأرواح الطيبة ونروي شوقها إلىٰ رحاب الانعتاق من أغلال الأرض وزخارف الدنيا التي يزينها الشيطان إغراءً وخداعاً يزيل أهل البصائر عن سبل النجاة، ويسلبهم نعمة الانتصار علىٰ الباطل.

فطهروا أنفسكم بالتوبة المنصوم، وزكوها بالإخلاص في عبادة ربكم ـ سبحانه ـ قدر طاقتكم، ورِدوا نهر النور الإلاهي الميسور للعارفين والسالكين في مدارج الكمال بإظهار حقائق الشريعة في أفعالهم وأقوالهم يرجون رحمة الله وعفوه عما لا يعلمون.

فضفاف هذا النهر النوري لا تستضيف غافلاً عن ضيافة الرحمان.

والقليل الدائم من الخير خير من الكثير المنقطع.

وأنا أقدمه في ضوء قولهم ـ عليهم السلام ـ: **«ومَنْ أعانَ أخاهُ المُؤمنَ علىٰ سلطان جائرٍ، أعانه الله علىٰ إجازةِ الصراط عند زلَّةِ الأقدام»**.

وأي سلطانٍ أشدُّ من الغفلة والجهل اللذين نحض علىٰ الانعتاق منهما بعون الله؟

الإيـمـان

وعـرَّف الإمام الصـادق ـ عليه السـلام ـ الإيمـان والمؤمن في جـوابـه للنجاشي ـ رحمه الله ـ فقال:

«يا عبدَ الله حـدَّثني أبي عن آبائـه عن عليّ ـ عليه السـلام ـ أنَّهُ سمِـعَ رسولَ الله ـ صلَّىٰ الله عليهِ وآله ـ يقولُ لأصحابه يوماً:

مَعاشرِ الناسِ إنَّهُ ليسَ بمُؤمنٍ مَنْ آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه.

فلا تتَّبِعُوا عَثَراتِ المُؤمنينَ، فإنَّهُ من تتبَّعَ عَثْرةَ مُؤمنٍ اتبعَ الله عَثْرَتَه يومَ القِيامةِ، وفَضَحَهُ في جوف بيته».

وفي هذا الحديث الشريف تمييز للمؤمن الحقيقي من غيره.

فالإيمان الحقيقي ما خالط القلب، وطاب به اللسان، وطهرت اليد.

ويعرف هذا الإيمان بالامتناع عن تتبع عثرات المؤمنين، وبذكرهم ذكراً حسناً، ورد ما يسؤوهم في المحضر والمغيب.

فلينظر عباد الله الخائفون الراجون أين هم من هذا الميزان.

ولا يتم الإعـراض عن متابعـة زلات المؤمنين وهفواتهم إلا بـالانشغـال بعيوب النفس ـ وما أكثرها للتبصر! ـ عن عيوب الإخوان.

ومن أحب أن يستر الله عليه فضائحه يوم القيامة، ستر علىٰ الناس كل ما يشينهم وامتنع عن تتبعه، وحارب الفاحشة وإشاعتها في الأرض.

الـمُؤْمِـن

تذكروا أيها الأعزاء أن استقامتكم علىٰ الحق وإخلاصكم لله ـ تعالىٰ ـ وتمسككم بمكارم الأخلاق، ومشاركتكم الناس في السراء والضراء تفتح لكم مغاليق القلوب، وتجتذبها إليكم، وتمنحكم السيادة عليها.

وفي ذلك خير الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما.

ولا بد لمن يرجو رحمة ربه والقتال في صف وليه الأعظم ـ عجل الله فرجه الشريف ـ أن يذوب في إصلاح قلبه وتأليف القلوب وتوحيد الهمم من غير رياءٍ وافتتانٍ بوهمٍ من الأوهام المضلة.

وهذا هو نهج الصالحين الذين هم ورثة الأنبياء والأولياء ـ عليهم السلام ـ فينبغي لهم ألا يفرطوا بثمرات ذلك الكفاح المرير المقدس لإعلاء كلمة الله في أرضه امتثالاً لأمره وحده ـ سبحانه ـ لا للاستعلاء علىٰ الآخرين.

وطلب الجاه والاستعلاء وتتبع عثرات الناس من رذائل الجاهلية وطباع أعداء الله الذي دعانا لإتمام مكارم الأخلاق ونبذ السيئات.

فاجتنبوا حبائل الشيطان المنصوبة أبداً للمؤمنين، ومنها الغيبة والنميمة والبهتان والافتراء.

واستنزلوا الخير كرامةً في الدنيا وسعادةً في الآخرة بالتقوىٰ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورعاية الأخلاق الإسلامية سراً وعلناً.

الانتصار

إنكم في محضر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ دائماً وهو بكم محيط يسمعكم ويراكم ويعلم ما تخفون وما تظهرون، وإنكم إليه لراجعون.

فاخشوه فيما تقولون وتفعلون، لأنه سائلكم عن كل صغيرةٍ وكبيرةٍ.

ومن حقه عليكم أن تشكروا له ما أنعم عليكم أن هداكم للإيمان به، ونصركم علىٰ عدوٍّ ما زال يتربص بكم الدوائر بفنون الحيل الماكرة والأسلحة الفتاكة.

وشكره ـ تعالىٰ ـ هو حفظ ما هداكم إليه من الإيمان، وما منَّ عليكم به من النصير.

وما تحفظون الإيمان بالله في جوانحكم ونصره علىٰ رءوسكم، إلا بوحدة الكلمة التي تنبعث من الحق وترمي إليه مستعينة به وحده لا شريك له.

ولا تنسوا أن عدوكم لا يخاف أسلحتكم ولا كثرتكم، وإنما يخاف ثقتكم بالله وتوكلكم عليه.

فالثقة بالله والتوكل عليه يبعثان علىٰ التوادد والتراحم ونبذ التدابر والتناحر.

وأمة متوادة متراحمة لا تغلب، لأنها في حصنٍ حصينٍ من الضعف والإخفاق.

ولهذا يسعىٰ العدو إلىٰ هدم صفكم بافتراء الأباطيل وتنميق الأكاذيب.

فلا تقبلوا شائعةً بلا تحقيق فيها وتدبرٍ لها، فربما أشاع عدوكم أخباراً

صحيحة ابتغاء تسخيركم في نشر غيرها مستقبلاً.

وحذار من فخ الشيطان الذي وصفه الإمام علي ـ عليه السلام ـ بقوله: **«كلمةُ حقٍّ يُراد بها باطلٌ»**[1].

وطالما سخر العدو الغافل منكم والجاهل لبلوغ غايته منكم.

فميزوا الحق من الباطل تنتصروا.

(١) نهج البلاغة: خ ٤٠، وقصار الحكم منه ح ١٩٨.

الـمِيثـاق

وقال الصادق ـ عليه السلام ـ:

«حدَّثني أبي عن آبائه عن عليٍّ ـ عليه السلام ـ أنَّه قال:

أخذ الله ميثاق المُؤمن أن لا يُصدَّق في مقالته، ولا ينتصف من عدوه على أن لا يشفى غيظه إلّا بفضيحة نفسه، لأنَّ كُلَّ مُؤمنٍ ملجَمٌ، وذلك لغايةٍ قصيرةٍ وراحةٍ طويلةٍ».

المؤمن صبور غفور حليم ملجم بالحق قلبه ولسانه ويده ليقينه أنه في يسيرٍ ضئيل إلىٰ هناء طويل قد خص الله به عباده الذين طابت أفعالهم وحسنت أقوالهم وزكت نفوسهم.

فصبروا علىٰ الهوان في سبيله ابتغاء رضوانه، وصفحوا عن العدو إظهاراً لشكرانه، وتجرعوا ما فضحوا به من الفرية رجاءً لستره **﴿يَوم تُبْلَىٰ السَّرائر﴾**[1].

فالجنة لا يدخلها طالب جاهٍ ولا منتقم من الناس ولا مشتفٍ بهم، لأنها للطيبين الرحماء الكرام.

وما قاله الإمام ـ عليه السلام ـ منطبق على المؤمنين الذين يصارعون إعلام الجاهلية الجديدة الذي لا يمتنع عن افتراء الأكاذيب علىٰ الإسلام والمخلصين له محاولاً وقف نوره الممتد في الأرض هدىً ورحمةً بآختلاق

---

(١) الطارق: ٨٦/ ٩.

الأباطيل وتضليل الناس عنه وإثارة الفتن عليه.

وعلىٰ الرغم من هذا تجد المسلم لا يقول ولا يفعل غير الصدق، لأنه سر الوجود وكنز الخلود.

واستكمل الإمام ـ عليه السلام ـ قوله الشريف: **«وأخذَ الله ميثاقَ المؤمنِ علىٰ أشياء أيْسَرُها عليه مُؤمِنٌ مِثْلُهُ يقولُ بمقالته يعيبُه ويحسدُهُ.**

والشيطان يغويه ويمقته.

والسلطان يقفو أثره، ويتبع عثراته.

وكافر بالذي هو مؤمنٌ به يرىٰ سفك دمه ديناً وإباحة حريمه غنماً.

فما بقاء المؤمن بعد هذا؟».

هذا الميثاق استنهاض للجهاد وحض علىٰ التزامه والثبات فيه.

فقد أبان عما يقيد المؤمن ويضغطه، وكشف عن أركان العدوان عليه الذين لا يفترون عن حصره وقهره وإرغامه علىٰ ما يكره من الشر، وإقصائه عما يحب من الخير، وأولئك المعتدون هم: المؤمن الجاهل الحاسد، والشيطان الغوي، والسلطان المتجبر، والكافر الحاقد.

وإذا كانت الحال كذلك، فلماذا تستحب الدنيا علىٰ الآخرة؟

ولم الركون إلىٰ الأعداء وقد عرفوا؟

ما أهون العيش بين عائبٍ حاسدٍ، وغوي ماقتٍ، ومتجبرٍ فاتكٍ، وكافرٍ فاجرٍ غادر!

وما أسعد من اختار الله حبيباً وأنيساً ونجياً وحَفِيّاً، فآستضاء بأحكامه وجاهد في سبيله علىٰ ما علمه وهداه!

وطوبىٰ لمن عمل صالحاً في سبيل الله غير منافقٍ ولا كاذبٍ ولا مراءٍ ولا خائفٍ ولا غاشٍّ!

فعباد الله الصالحون ينصحون للبر والفاجر، ويرحمون بلا استثناءٍ، فخيرهم للناس شامل، وشرهم من الجميع زائل.

محارَبة الله

وقال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ للنجاشي في جوابه عن سؤاله.

«يا عَبدَ الله حدَّثني أبي عن آبائـه ـ عليهم السلام ـ عن عليٍّ عن النبيِّ ـ صلَّىٰ الله عليه وآله ـ قال:

نزل جبرئيلُ ـ عليه السلام ـ فقال: يا محمَّدُ، إنَّ الله يقْـرؤكَ السلام، ويَقُولُ: آشتَقَقْتُ للمؤمن آسماً مِن أسمائي.

سَميته مؤمناً، فالمؤمنُ مِّني وأنا منه.

مَنِ استهان بمُؤمِنٍ، فقد استقبلني بالمحاربة».

وعبارة **(فالمؤمنُ منِّي وأنـا منه)** تبين أن الله ـ سبحـانه ـ يحب المؤمن ويؤثره علىٰ سائر خلقه.

وفي كلام أئمة الدِّين ـ عليهم السلام ـ تـوكيد لهـذا سبق قسم منه في هذا الكتاب، فالاستهانة بالمؤمن محاربة لله ـ جل وعلا.

وجاء في أصول الكافي أنه: قال رسول الله ـ صلَّىٰ الله عليه وآله ـ: **«لقد أسْرىٰ ربِّي بي، فأوحىٰ إليَّ من وراء الحجاب ما أوحىٰ، وشافهني إلىٰ أن قالَ لي:**

يـا محمَّدُ مَنْ أذلَّ لي وليَّـاً، فقد أرصـد لي بالمُحـاربة، ومن حـاربني حاربتهُ.

قلت: يا ربِّ وَمَنْ وليّك هذا؟

فقد علمت أنَّ من حاربك حاربته.

قال: ذاك من أخذتُ ميثاقَهُ لك ولوصيِّك ولذُرِّيَّتكُما بالولاية»[1].

فالافتراء والغيبة والتهمة والبهتان والهمز واللمز والسخرية والضحك ونحوها كلها حرب لله ـ تعالىٰ ـ يعاقب مرتكبها أشد العقاب في الآخرة، ويذيقه كأس الذل والهوان بها في الدنيا.

فتعساً لامرىءٍ يشتري هوان الدنيا وشقاء الآخرة بالرذائل.

ومن اقتدىٰ بأهل البيت ـ عليهم السلام ـ فَهِم وسَلِم وغَنِم.

والاقتداء علم وعمل ينبعان من سريرةٍ حسنةٍ.

فحسن السريرة هو أساس الفلاح، وقد ورد عن الرسول الأكرم ـ صلَّىٰ الله عليه وآله ـ قوله الهادي: «**يا عليُّ لا تُناظِرْ رجُلاً حتَّىٰ تنظُر في سريرته.**

فإن كانت سريرته حسنةً، فإنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لم يكُن ليخذُلَ وليَّهُ.

وإن كانت سريرتُه رديَّةً، فقد تكْفيه مساويه.

فلو جهدت أن تعمل به أكثر مما عمل به من معاصي الله ـ عز وجل ـ ما قدرت عليه».

فالسريرة الحسنة لن تدع صاحبها يقارف إثماً أو خطيئةً، وهي مرقاته إلىٰ الكمال ونيل الفلاح، وباعثه علىٰ خير العلم والعمل.

والسريرة السيئة تحجب صاحبها عن كل خيرٍ، ولا تعينه علىٰ اجتناب شرٍّ.

ومهما قُوِّم صاحبها بالتنوير والتذكير، فإنه لا يفلح لما ران علىٰ بصيرته من الإثم والإصرار علىٰ الباطل والاستكبار عن الحق.

ومن كان هذا شأنه، وجب اجتنابه والإعراض عنه.

ومثال هذا هو الخوارج الذين قست قلوبهم وآدلهمَّتْ نفوسهم، فوقفوا في وجه الدين القويم بإسمه، وحاربوا وليَّ الله الأعظم وحجته الكبرىٰ وقرآنه الناطق الإمام علياً ـ عليه السلام ـ الذي لم تستطع صيحاته الهادية أن تفتح

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٢٥٣ وبحار الأنوار: ١٨/ ٣٠٧.

نوافذ قلوبهم لنور الإيمان من شدَّة ما تـراكم عليها من المعـاصي، حتىٰ باؤوا بعار الدنيا وشنارها وصاروا لجهنم حطباً وحقَّ عليهم قـول ربِّك ـ تعـالىٰ ـ: **﴿إنَّ الذينَ كَفَروا سواءٌ عليهِم أَنْذَرْتَهُمْ أم لم تُنْذِرْهُمْ لا يُؤمِنُونَ خَتَمَ الله علىٰ قُلُوبِهِم وعلىٰ سمعهم وعلىٰ أبْصارِهم غِشاوة﴾**[1].

ولا ريب في أن الإنسان كلما أذنب انطفأ نـورٌ من أنهار الحق السـاطعة في قلبه.

وهكذا حتى يعم الظلام قلبه، وتستوطنه القسوة والظلم، وتغادره الرحمة والعدل.

وهذا هو الموت الأعظم الذي هو خسران الدنيا والآخرة.

فإياكم والإصرار علىٰ الذنب أو الاجتهاد في تسويغه، فإنهما يحدوانكما علىٰ السير في وادي الهلاك.

---

(١) البقرة: ٢/ ٦ ـ ٧.

الإذاعــة

وكرر الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ توكيده علىٰ النجاشي ـ رحمه الله ـ حرمة المجلس، فقال في جوابه له:

«يا عبد الله وحدَّثني أبي عن آبائه عن عليٍّ ـ عليهم السلام ـ عن النبيِّ ـ صلَّىٰ الله عليه وآله ـ أنَّهُ قال:

أدْنىٰ الكُفرِ أنْ يسمعَ الرجُلُ عن أخيهِ الكلمةَ، فيحْفَظَها عليه يُريدُ أنْ يفْضَحَهُ بها.

أولئك لا خلاق لهم.

يا عبد الله، مَنْ قال في مؤمنٍ ما رأت عَيناهُ وسمعتْ أُذُناهُ ما يشينهُ ويَهدِمُ مُرُوءتَهُ، فهو من الذينَ قال الله ـ عز وجل ـ فيهم: ﴿إنّ الذينَ يُحِبُّونَ أن تَشِيعَ الفاحشةُ في الذينَ آمَنُوا لهم عَذابٌ أليمٌ﴾[1].

يا عبد الله وحدَّثني أبي عن آبائه عن عليٍّ ـ عليهم السلام ـ أنَّهُ قال:

مَن رَوىٰ عن أخيه المؤمن روايةً يُريد بها هدم مروءته وثلبَهُ، أوبَقهُ الله بخطيئته يومَ القيامة، حتىٰ يأتيَ بمخرجٍ ممَّا قال».

فإذاعة ما يشين الإخوان وينقص أقدارهم في الناس كفر يعمىٰ به القلب، ويضل ضلالاً بعيداً لا يجنىٰ منه سوىٰ الشقاء والعذاب الأليم.

فطوبىٰ لمن أدرك هذا في نفسه، فنزهها عنه رغبةً في مرضاة الله، وحفظاً لمحاسن عباده، وإظهاراً لمكارم دينه.

ولا ريب في أن الحط من كرامات العباد خطيئة تستولي بها الشياطين علىٰ قلوب الغافلين حتىٰ تطفىء ما فيها من نور الإيمان.

---

(١) النور: ٢٤/ ١٩.

سرورُ المُؤمِنِ

ومثلما كرر الإمـام الصادق ـ عليـه السلام ـ تحـذيره من تتبـع عورات المؤمنين مبيناً أنه كفر جزاؤه الخسران المبين في الدارين كرر توكيـده لإدخال السرور علىٰ قلوبهم قائلاً للنجاشي ـ رحمه الله ـ في جوابه له:

«ومَنْ أدخَلَ علىٰ أخيهِ المُؤمنِ سروراً، فقدْ أدْخَلَ علىٰ أهْلِ بَيتِ نَبيِّـهِ ـ صلَّىٰ الله عليه وآله ـ سُروراً.

ومَن أدْخَلَ علىٰ رَسول الله ـ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ سُرُوراً، فقد سرَّ الله.

ومن سرَّ الله، فحقيقٌ علىٰ الله أن يدخلَهُ الجنَّة».

فما أطيب عملاً ثمرته الجنة!

وما أكرم قضاء الحاجة، وستر العثرة، وحفظ الكرامة وأيسرها!

فهي وأمثالها من إعانة المكروب وإغاثة الملهوف وستر المبتلىٰ بفضيحةٍ من مصاديق سُرورِ المُؤْمنين المنجي من غضب الربِّ وهول الفزع الأكبر.

التقوى

واختتم الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ جوابه الشافي الكافي لطالب النجاة قائلاً:

ثمَّ إنِّي أوصيك بتقوىٰ الله، وإِيثار طاعته، والاعتصام بحبله.

فإنَّهُ من اعتصم بحبل الله، فقد هدي إلىٰ الصراط المستقيم.

واعلم أن الخلق لم يوكلوا بشيءٍ أعظم من تقوىٰ الله، فإنها وصيتنا أهل البيت.

فإن استطعت ألّا تنال من الدنيا شيئاً تسأل عنه غداً، فآفعل».

لقد سار الإمام ـ عليه السلام ـ بطالب النجاة رويداً رويداً، حتىٰ بلغ به الغاية ألا وهي التقوىٰ التي جعلها العزيز الحكيم ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أساس الحياة الهانئة المطمئنة، فقال: **﴿أفَمَنْ أسَّسَ بُنيانَه علىٰ تقوىٰ الله ورِضوانٍ خَيْرٌ أم مَنْ أسَّسَ بُنْيانَهُ علىٰ شَفَا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ بِهِ في نارِ جَهَنَّمَ والله لا يهْدِي القومَ الظالِمين﴾**(١).

أي أن كل شيء بعد التقوىٰ هباء، لأنه ظلم، والظلم مرتعه وخيم.

والتقوىٰ هي كف النفس عن كل ما فيه شبهة من مخالفة الله ـ تعالىٰ ـ خوفاً منه ـ عز اسمه ـ ورجاءً لرحمته.

وهي زاد المؤمن بربه حقاً السالك إليه صدقاً بنص قوله الحكيم: **﴿وتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزادِ التَّقْوىٰ﴾**(٢).

---

(١) التوبة: ٩/ ١٠٩.
(٢) البقرة: ٢/ ١٩٧.

وقد حد الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ معالم عبادته، فجعل الخمس واحداً من الخمسة، والزكاة واحداً من العشرة، والصلوات اليومية المفروضة سبع عشرة ركعةً.

ولم تحد التقوىٰ لعظمتها.

فهي تطهير النفس من كل إثمٍ وشبهةٍ، ولهذا يجتنب الصالحون ما يمكن احتمال الغيبة.

وهي ملكة تصون صاحبها عن الحرام وشبهه بعزله عما يحدث الذنب في ظله من النهوض بالمصالح العامة ومعاشرة الناس.

وأثر هذه التقوىٰ ضعيف علىٰ الرغم من التوصيات به.

وضعف أثرها ناجم عن حرمان صاحبها من أعظم النعم الإلهية، وهي قضاء حوائج الناس.

ومن التقوىٰ ما يحمل المرء علىٰ خوض غمار المصلحة العامة، والاضطلاع بإقامة أحكام الإسلام والدعوة إليها.

وذلك بجعله يقظ القلب ذاكراً لله ـ تعالىٰ ـ راغباً في خدمة عباده إيماناً منه بأن (خير الناس من نفع الناس)، ويقيناً بأن النجاة في الانتصار علىٰ الخطر لا في الفرار منه.

وأثر هذه التقوىٰ الفاعلة عظيم في نفس صاحبها وفي حياة الجماعة، فهي تشد أزر الصالحين في مواجهة الشيطان وجنوده وعدم التسليم لهم.

وتقوى الاعتزال والاستخفاء لا تستطيع إنجاز التكاليف السامية للإسلام الذي يقتضي حضوراً فعالاً في ميادين الكفاح والكدح إلىٰ الله ـ تعالىٰ.

فالمتقي حقاً قائد مجرب انتصر علىٰ ميدانه الأول وهو نفسه في جهاده الأكبر، فطهر لسانه من الكذب وعينه من الخيانة، وعمله من الرياء، وقلبه من النفاق.

واستكمل الانتصار في ميدانه الثاني، وهو الأمة، فراح يوقظها من غفلتها

مثلما أيقظ نفسه، ويدعوها إلىٰ استتمام مكارم الأخلاق في هدىٰ الإسلام.

وتجب التقوىٰ في النشاط الفكري والسياسي والاجتماعي وفي كل مرفقٍ من مرافق الحياة.

فيلزم المتقي أن لا يتصدىٰ لما لا يستطيع أداءه في أي مجالٍ تتجلىٰ فيه عبادة الله ـ تعالىٰ.

كما يلزمه ألا يتصدى لعملٍ ما وهو يعلم أن هناك من هو أكفأ منه في إنجازه.

فالمتقي عابد لا يعنيه من زخرف الدنيا وحطامها الفاني سوىٰ طاعة ربه واجتناب معصيته ـ جل اسمه الكريم.

والحق عنده لا ينال بالباطل، والعدل لا يقام بالظلم، والأمانة لا تنشر بالخيانة.

ودين الله صدق، ولا سبيل إلىٰ الصدق غير الصدق.

فاتقوا الله ـ تعالىٰ ـ في النية والقول والفعل، وفروا من المكروهات خوفاً من السقوط في المحرمات.

وتمسكوا بالواجبات والمستحبات عسىٰ أن تحيا قلوبكم ببركتها.

وكونوا مع الله يكن معكم.

وختاماً قال عبد الله النوفلي: عندما بلغ جواب الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ النجاشي ـ رحمه الله ـ نظر فيه وقال: «لقد قال سيدي حقاً، والله الذي لا إله إلا هو ما عمل به أحد إلا نجا».

قال النوفلي: وظل النجاشي يعمل برسالة الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ طوال حياته.

نسأل الله أن نكون ممن استضاء بنور آل محمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وأدى ما عليه من ديون الماضين وحقوق الحاضرين والآتين، ويجعلنا من جند سيدنا المنتظر ـ عجل الله فرجه الشريف ـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المُحتَوىٰ